مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة

فانتازيا

61

من قتل الإمبراطور؟

د. أحمد خالد توفيق

مقدمة

(عبير عبد الرحمن) مخلوقة عادية إلى حد غير مسبوق .. إلى حد يخطف الأبصار .. إنها الشخص الذى نتمنى ألا نكونه حين نتحدث عن أنفسنا .. الشخص الذى لا يتفوق فى الجمال أو القوة أو البراعة أو الذكاء .. لكن لابد من شىء ما يميزها وإلا لعاشت وماتت دون أن نسمع عنها ..

ثمة أبطال قصص يمتازون بالقوة .. ثمة أبطال يمتازون بالذكاء الخارق .. ثمة أبطال يمتازون بالحظ العاثر .. ثمة أبطال يمتازون بأنهم لا يمتازون بشىء .. ويبدو أن (عبير) من هذه الفئة الأخيرة ..

فى نقطة واحدة تفوقت (عبير) علينا .. إنها تملك ذلك الخيال الشاسع بحجم المحيط ، وتملك فكرة عن أكثر العوالم الخيالية التى أبدعتها قريحة الأدباء والفنانين والسينمائيين ومصممى الألعاب ، كما أنها امتلكت ذلك الجهاز الغريب الذى يولد الأحلام ، والذى لا يصلح إلا لها فى الواقع ، وبهذا غدت أول مخلوق بشرى يستطيع ارتياد تلك العوالم الساحرة ، بل يشارك فيها

كذلك .. ومن البديهى أن (عبير) صارت تنتمى لـ (فانتازيا) أكثر مما تنتمى لعالمنا .. وبالنسبة لها لم تعد مشاكل الواقع إلا منغصات تتخلل فترات الحلم الأكبر الدائم فى (فانتازيا) ...

إن (عبير) كريمة النفس ، لهذا لن تتركنا هنا وحدنا مع واقع لا يتغير .. سوف تصحبنا فى رحلتها . سوف نعبر معها عالم المرآة الساحر مثلما فعلت (أليس) يومًا ما .. سوف تقابل ــ ونحن معها ــ العبقرى المخيف (دستويفسكى) وتجلس فى مجلس واحد مع (أرشميدس) و(الخوارزمى) و(أينشتاين) .. سوف يشرح لها (فرويد) نظرياته وهو يدخن غليونه الذى أصابه بالسرطان .. سوف تمشى مع (أفلاطون) فى بستان مدرسته .. ستحلق مع (طرزان) فوق قمم الأشجار السامقة ، وتثب مع الرجل العنكبوت من فوق ناطحات السحاب .. ربما تخدعها الساحرة الشريرة كى تلتهم التفاحة ، أو تهدد المقصلة عنقها ، ولربما تضع قدميها على تربة المريخ الحمراء ، أو تغطس فى كرة أعماق الدكتور (بيب) .. ربما تفتح قبر (توت عنخ آمون) أو تحارب جحافل المغول ..

إنها (فانتازيا) حيث القواعد الوحيدة للعبة هى : لا قواعد .. وحيث الحدود الوحيدة لرقعة الخيال هى : لا حدود ..

إن جرس المحطة يدق ، والبخار يتصاعد من مدخنة القطار .. والمرشد الملول الذى يرشدها فى أنحـــاء (فانتازيا) يقف نافد الصبر على باب القطار .. فلنتخذ مقاعدنا بسرعة ..

لقد حـــان موعد قصة أخرى .. هذه المرة تقرؤها على شاشة جهاز الإنترنت ..

1 ـ اتصال متأخر

إضاءة خافتة وغرفة شبه مظلمة ..

مروحة عتيقة لا تكف عن الصرير ..

بعوضة تحاول أن تبحث عن فرصة سانحة بين عواصف المروحة ..

كوب من الشاى الثقيل .. وشاشة الكمبيوتر تتألق فى الظلام .

سوف يذكر التاريخ أن هناك جيلاً قضى حياته ينظر لسطح براق . وعلى هذا السطح عاش حياة كاملة وقابل أصدقاء ورأى العالم . ربما كان هذا كله ملفقًا لكنه يبدو حقيقيًا وخطيرًا .

كانت عبير جالسة أمام شاشة الكمبيوتر تفكر ..

* * *

منذ فترة لم يظهر شريف .. هل شعر بالملل أم أن كرامته أهينت ؟.. لو كان هـذا فيلمًا عربيًا لكانت على يقين من أنه سيظهر ويتزوجها فى النهـاية ، أما فى عالم الواقع فلا يوجد

ضمان من أى نوع .. لا نهايات سعيدة ولا مأساوية .. لن يأتى ليتزوجها على حصان ولن ينتحر ولن تدهمه سيارة وهو قادم ليخطب ودها .. لن تموت قبل أن يصل .. فى الحقيقة لن يحدث أى شىء على الإطلاق ..

لماذا ؟ لأن الواقع ممل !

سـوف يمر العمر مـن دونه .. تقضى أيامها مع ابنتها والمدرسة والعمل الشاق ، ثم تموت أمها فى ليلة كئيبة فتبدأ أيام قاسية خافتة الإضاءة ، ثم تعتاد الأمر .. ثم تتزوج ابنتها وتتشاجر مع زوجها لأنه لا يريد أمها معها ، ثم تصاب بالسكرى وهبوط فى عضلة القلب وجلوكوما .. تتورم قدماها ثم تموت وتأتى أم بلبل لتقوم بتغسيلها .. هذه هى حياتها .. أو كما يقول الفيلم الفرنسى الشهير (عاشت حياتها) ..

وعندما ترقد هى فى القبر سوف يبكى أقرباؤها أول يوم .. يتبادلون ابتسامات متحفظة ثانى يوم .. يتشاجرون على المعاش ثالث يوم .. ينسون كل شىء عنها رابع يوم ..

الإنسان وحيد .. هذه حقيقة لا شك فيها ..

راقبت شاشـــة الهاتف المحمــول التى تتوهــج .. أنه صامت طبعًا ..

عرفت على الفور من يتصل ..

ضغطت بأناملها على شفتها السفلى وفكها .. لن ترد .. ليس الوقت مناسبًا للرد .. أن هذا الاختراع اللعين يقتحم خصوصيتك فعلاً . تشعر أن شريف يحلق فى الغرفة ويراقبها . أنه على بعد خطوات .. أنه يراها ..

الوهج مستمر .. الوهج يقول لها : ردى يا عبير ..

فى النهاية استجابت للضغط النفسى ورفعت الهاتف وألصقته بأذنها .

هذا شريف .. بالطبع تعرف أنه شريف لكن ماذا يريد ؟

قال لها :

ــ « لا أستطيع النوم .. ماذا تعملين الآن ؟ »

ــ « أرد على مكالمتك ! »

ــ « هل من شىء آخر ؟ »



ــ « أعاقر الخمور وأمارس كل أنواع العلاقات الآثمة .. نساء وغلمان وميسر .. »

ضحك فى عصبية .. وقد أدرك أن مزاجها الليلة هو التسلية عليه . وعاد يكرر من جديد :

ــ « لا أستطيع النوم .. »

ــ « هناك صيدلية قريبة .. ابتع بعض أقراص الفاليوم .. على الأرجح يكفى أن تكون الأقراص معك كى تنام .. لا يجب أن تبتلعها !! »

هل يريد أن تهدهده مثلاً ؟ هل تحكى له قصص أطفال تساعده على النوم ؟.. هؤلاء الرجال يصيرون أطفالاً بسهولة .. أطفالاً شديدى السخف مزعجين ، يجدر أن يتخلص المرء منهم فورًا ..

ساد صمت ثقيل ثم قال :

ــ « هل أنت جالسة أمام جهاز الأحلام ؟ »

ـ « جالسة أمام الكمبيوتر .. لكن لم أجرب حلمًا بعد »

ـ « ألا تخشين أن يتلف البرنامج أو الجهاز يومًا ؟ بعدها لن تكون هناك أحلام . أنت لن تتعاطى نبات القنب أو عقار LSD أو DMT لتحلمى . إذن كم ستكون حياتك رتيبة قاسية ! »

كانت تخشى هذا ..

هذا هو كابوسها القديم ، لكن هل تعود المرأة لزوجها السابق لمجرد أنه مبرمج جيد ؟.. لا يوجد هراء كهذا . الكمبيوتر لم يكن من دعائم البيت قط .. ولا يضمن أن تعود السعادة لهذا الثنائى التعس غير المتكافئ ..

كانت تعرف معنى ما يقول .. عودى لى كى تضمنى صيانة الجهاز والبرنامج !.. أغرب عقد صيانة فى التاريخ ..

كانت تحب شريف .. لا شك فى هذا ، لكنها دفنت هذا الحب تحت أطنان من الهموم اليومية والمخاوف والقلق من تقلبه ..



دفنته تحت شهور طويلة جدًا مرت من غيره ... الحياة من دونك يا صاحبى ممكنة .. تالله هى ممكنة .

قالت له فى فتور :

ـ « سأفكر فى ذلك .. والآن أرجو أن تجرب النوم .. كما قلت لك ، فإن قرص فاليوم قد ينهى المشكلة ... وحاول أن تطفئ النور وتعد غنمك .. »

قال فى خيبة أمل :

ـ « تصبحين على خير إذن .. سأحاول أن أتخيل غنمًا فى الظلام .. لا أعرف كيف لكننى سأحاول .. »

وانقطع الاتصال ..

جلست تحملق فى شاشة الكمبيوتر التى بدأ واقى الشاشة يرسم عليها خطوطًا .. سوف تفكر فيه .. بالتأكيد سوف تفكر فيه وسوف تعذبها كل خلية عصبية فى مخها بذكرى أليمة ما ..

سوف ترى ألف فيلم ذى نهاية قاسية أليمة . وستكون هى بطلة كل هذه الأفلام ..

يبدو أنه لا مفر من استعمال مولد الأحلام هذه الليلة ..

وهكذا أوصلت السلك ، ووضعت الأقطاب على رأسها .. ثم حركت مؤشر الفأرة إلى حيث أيقونة البرنامج .. وضغطت عليها ..

وبدأ دفق الشـــحنات الكهربى ، وبدأ مخهـــا يعبـــر إلى عوالم الحلم ..

عبر الأزمان وعبر المسافات ..

إنها تقترب ...

* * *



2 ـ الجزيرة ..

كانت هذه جزيرة ، وكانت الريح تهب فتطير ثوبها وشعرها الذى أدركت أنه أشقر ... هى أوروبية هنا على الأرجح ...

الموج يرتطم بصخور الشط فى عناد محاولاً أن يملك الكلمة الأخيرة ، لكنه يتعلم الدرس فى كل مرة .. لن تستطيع عمل شىء . والحقيقة هى أنه ينجح فعلاً فى تغيير معالم الشط الجيولوجية لكنه لا يدرك هذا .. يحتاج الأمر لعشرات السنين كى يبدو التغيير منظورًا ، ويدرك البحر أنه ليس بهذه التفاهة ..

تقف فوق صخرة عالية ترمق البحر المتلاطم ..

أى بحر هذا ؟ بحر الشمال ؟.. بحر إيجه ؟.. أم هو محيط ؟

لو كان المرشد هنا لأعطاها إجابة واضحة . لكن أين هو إذن ؟.. تكره تلك المغامرات التى تبدأ من دون مرشد ومن جولة قطار فانتازيا .. تحتاج لوقت طويل كى تعرف أين هى وما المطلوب منها ..

هناك سفن فى البحر من بعيد ..

سفن من الطراز العتيق الفكتورى إياه .. جو نلسون وسيركوف أمير البحار وشركة الهند الشرقية .. إلخ . السفن ذات الأشرع العديدة والمدافع على الجانبين . يمكن بالتقريب أن تحدد الزمن إذن ...

ألقت نظرة إلى خلفها فرأت أن الجزيرة عبارة عن صخور جرداء .. جزيرة بركانية جدًا ، ويمكنها أن ترى بعض الماعز تحاول جاهدة أن تجد ما تأكله بين الصخور .. لقد اختارت المكان الخطأ والزمان الخطأ ..

لو كانت تملك برنامج خرائط جوجل لأدركت أنها فى جنوب المحيط الأطلسى .. قريبة نوعًا من جنوب أفريقيا .

بدأت تهبط المنحدر الصخرى وهى ترتجف رعبًا .. لو سقطت هنا فلسوف يدق عنقها . سوف تبحث عن بيوت أو ناس ..

هل هذه القصة تدور فى جزيرة من آكلة لحوم البشر مثلاً ؟.. تايبى ؟.. وماذا عن جزيرة الكنز مثلاً ؟.. ماذا عن مغامرات سيركوف ؟

المؤكد أن هذه قصة غير عربية .. هذا لا شك فيه ..

هنا فوجئت بذلك الشخص فارع القامة الذى يلبس بدلة سوداء ويقف مستندًا إلى جدار صخرى ، وهو يضغط على الزنبرك فى قلم من الحبر الجاف : تتك .. تك .. تتك .. تك ..

المرشد اللعين ببروده وسماجته ومعلوماته الغزيرة وحضوره القوى .. الصورة الرمزية لمعلم اللغة العربية فى مراهقتها ..

ألقت بنفسها على صدره غير مصدقة أنه هنا ..

ـ « مرشد !.. حسبت أنك لن تظهر أبدًا ! »

قال دون أن يبذل أى جهد ليضمها له أو يبعدها عنه :

ـ « هذه قصة يصعب أن تعرفى سياقها تلقائيًا .. يجب أن تنالى بعض التلميحات ... »

ثم نظر للأفق والهواء المبلل بالملح .. وطيور النورس تنقض من السماء لتلتهم شيئًا بين الصخور . وقال :

ـ « هــذه جزيرة فى جنــوب المحيط الأطلسى .. اسمها (سانت هيلانة) .. هل يذكرك الاسم بشىء ؟ »

جزيرة القديسة هيلانة .. لكن ما أهميتها ؟ قالت :

ـ « لا .. »

ـ « هذا ما توقعته منك على كل حال يا ذاكرة السمك وعقل الذبابة .. هذه جزيرة منعزلة جدًا .. ربما أكثر الجزر انعزالاً فى العالم .. أقرب مكان لها هو كيب تاون فى جنوب أفريقيا ويبعد نحو 2000 كيلومترًا .. »

قالت فى دهشة :

ـ « وما شأن هذا بقصتى ؟.. هل هى قصة روبنسون كروزو ؟.. على أن أجد طريقة للأكل وإلا هلكت جوعًا ؟ ربما هى أسطورة (حى بن يقظان) ؟ »

ـ « الأمر أسهل من هذا .. »

كان يتكلم فرأت من خلف كتفه مشهدًا غريبًا ..

هناك مجموعة من الجنود يلبسون ثياب القرن الثامن عشر والبنادق على أكتافهم .. والرجل الذى فى المقدمة يحمل علمًا مميزًا . علم بريطانيا أو (يونيون جاك) .. بينما هناك عازف نفير يعزف لحنًا حماسيًّا هو .. « فلتسودى يا بريطانيا .. » . كانوا يمشون مشية عسكرية منظمة وقد امتلئوا بالفخر ومجد الإمبراطورية ..

قالت عبير وقد بدا لها الأمر مألوفًا :

ــ « أحمد عرابى فى منفاه .. هذه هى القصة .. »

ابتسم وهز رأسه كأنه يقول لها : لا بأس بتفكيرك .. وقال :

ــ « ليس هذا سيئًا .. بالفعل نحن فى منفى ، لكنه ليس منفى عرابى .. هذه ليست إحداثيات سيشل لو لاحظت . نحن نتكلم عن نابليون بونابرت .. الإمبراطور العظيم .. »

نعم . نعم .. يمكنها الفهم الآن .. لكن ألم يكن بونابارت منفيًا فى جزيرة ألبا ؟

سألت المرشد فقال وهو يحك رأسه :

ــ « ألبا منفاه الأول الذى هرب منه . أما سانت هيلانة فهى منفاه الأخير الذى ظل فيه حتى مات تحت حراسة البريطانيين ، مع من فضلوا النفى معه من أتباع مخلصين .. هل تذكرين قصة الكونت دى مونت كريستو ؟ كل المصائب التى حلت بالبطل كان سببها اتهامه بأنه نزل فى جزيرة ألبا وقابل نابليون .. طبعًا أرسله هذا إلى الباستيل .. »

لم تكن تذكر القصة تمامًا .. كان هناك انتقام ، ومنه ولدت مئات الأفلام المماثلة .. أمير الانتقام .. أمير الدهاء .. دائرة الانتقام .. إلخ .. المهم أن هذه جزيرة بونابرت الأخيرة إذن ..

نظرت لثيابها وشعرها الأشقر يتطاير حول رأسها .. لكل واحد منا انطباع خاص عن شكله قد يكون خاطئًا .. على الأرجح هو خاطئ وهذا ما تكشف عنه أول لقطة بالكاميرا ، لكن انطباعها عن نفسها فى تلك اللحظة كان أنها غاية فى الرقة .. شفافة قابلة للكسر كالزجاج . هذا نوع الفتيات اللاتى يغنين مع الأرانب فى قصص ديزنى ..

ـ « ومن أنا ؟.. سنوهوايت ؟ »

قال المرشد بلهجته العملية غير الراغبة فى المزاح :

ـ « بل أنت ماريا فالفسكا .. البولندية الحسناء .. »

ثم راح يدون شيئًا فى مفكرته .. وقال دون أن يرفع عينيه :

ـ « هناك خطأ تاريخى هنا .. لم تكن ماريا فالفسكا فى سانت هيلانة .. إنها قصة حب عذبة فى حياة بونابرت ، وقد ظلت تحبه حتى اللحظة الأخيرة ، لكنها لم تكن على سانت هيلانة كما

قلت وإن حاولت ذلك .. نحن نرتكب هذا الخطأ التاريخى عمدًا لنضيف شيئًا من التوابل إلى القصة . أما من وقع بونابرت فى حبها فهى فتاة صغيرة السن اسمها اليزابث لوسيا .. آخر حب فى حياته وابنة صاحب الدار الذى استضافه .. »

ركلت عبير قطعة حجر صغيرة فى ضيق وقالت :

ـ « هـذا يثيـر غيظى دائمًا .. قصـص الحب المقحمـة . فى الأفـلام الحربية لابد من حشر قصـة حب حتى لو كان الموضوع ذكوريًا كله ، وفى مصـر تم حشر قصـص حب فى كل فيلم إسـلامى تقريبًا .. لا أدرى سبب هـذه العـادة . ربما نقبل هذا فى السينما لأن المشاهد يحتاج لتوابل ، لكن لماذا تفعل هذا هنا ؟ »

ـ « لا تنسى أن الهـدف تسليتك .. سـوف تكـون قيم التسلية أكثر بهذه الطريقة . تصورى قصـة حب مع بونابرت شخصيًا .. ! »

لم يبد لها هذا مقنعًا ، لكنها تقبلت كلامه لتريح دماغها من الصداع ... فلتبدأ إذن .. لسان حالها يقول فالفكسا فالفكسا .. ليكن ...

قلت له :

ـ « ما هى نقطة البداية ؟ »

قال فى غموض :

ـ « ليس هنا ولا هذا الزمن .. »

* * *

قال د . (فورشوفود) وهو يفتح نافذة صغيرة فى عيادته :

ـ « هذا سوف يزيل الرائحة .. »

تسرب شعاع الشمس إلى الغرفة الكئيبة ، فشعرت ببعض الانتعاش . وناولتها الممرضة كوب ماء فرشفت منه وتمضمضت .. ثم بصقت فى الحوض .. ومن جديد عاد المثقاب يهدر حتى ليوشك على تحطيم رأسها وأعصابها .. هذا المثقاب يعبث بالأعصاب ذاتها وليست الأسنان ...

دززززززززززززززززز !

إنه ينخر فى ذات وجودها .. فى توازنها العقلى ...

وشمت رائحة مسحوق الأسنان الساخن ، كما أن مشكلتها مع أطباء الأسنان عامة هى أين توجه عينيها .. يستحيل أن تنظر لوجه شخص على بعد عشرة سنتيمترات من وجهك وإلا أصابك الحَوَل ..

دززززززززززززززززز !

قال د . (فورشوفود) وهو يتكلم بالثقة الخنفاء التى يجيد الأطباء اصطناعها :

ــ « سوف يحتاج هذا الضرس إلى عدة جلسات .. »

كانت تدرك جيدًا أنه يتكلم السويدية .. فجـأة صارت تجيد السويدية ، وفجـأة صارت فى القـرن العشرين .. لكن ما دخل هـذا بمغامرة اليـوم ؟.. صحيح أن زيـارة طبيب الأسنان مغامرة مفزعة ، لكنها غير كافية . ثم ما علاقتها بسانت هيلانة وبونابرت ؟..

عندما نهضت أخيرًا كانت تترنح وتشعر بما يشعر به من انفجرت قنبلة ذرية فى فمه ، لو كان هناك شخص كهذا .. الضرس ساخن من احتكاك المثقاب مع رائحة قرنفل مؤذية ..

كانت تدرك جيدًا أنها لم تأت لهذا الغرض ..

الآن تفهم ما جاءت من أجله ..

وعندما جلست على مقعد آخر غير مقعد الإعدام هذا ، قال لها (فورشوفود) وهو ينزلق بمقعده الصغير ذى العجلات نحوها :

ــ « الاسم بيتى مولدر .. أليس كذلك ؟.. أمريكية لكنك تجيدين السويدية .. »

كان فمها محشوًا بالقطن فاستطاعت بكثير من العسر أن تقول :

ــ « ممه .. فوه .. مممف .. عاووف .. »

ثم بصقت القطن وقالت دون أن تعرف هذه الحقائق :

ــ « أمى سويدية أصلاً .. »

إنها تدهش نفسها بما تعرفه ..

عيادة فى ستوكهولم .. طبيب أسنان .. ولكن .. بيتى مولدر !.. إنها صحفية إذن .. هذا هو الاسم الذى كانت تحمله عندما زارت راسبوتين فى آلة الزمن ..

لقـــد كانت صحفية مرارًا فى فانتـــازيا .. وكانت فى مرات كاتبـــة ..

إذن هى جاءت هنا كى تحقق فى شىء ما .. الحيلة الشهيرة أن تجرى كشفًا عند الطبيب إذا أردت سؤاله عن شىء . وكما يحدث فى الأفلام يجد لديك كارثة !!! هذه المرة حول فمها إلى منجم ماس فى جنوب أفريقيا لم يعد فيه شىء ..

نظر لها فى فهم وقال :

ـ « أعتقد أنك جئت من أجل السؤال عن أبحاثى .. »

هذه المرة لم تستطع أن تنفى .. ابتلعت ريقها الدامى وهزت رأسها ..

قال باسمًا :

ـ « خمنت هذا عندما وجدت أن أسنانك سليمة !.. لقد كانت حجة ملفقة ! »

حجة ملفقة أيها الـــ .... !!!

كل هـــذا الحفـــر وكل هـــذا الدم والحجة ملفقـــة .. إذن ماذا لو كانت أسنانها تالفة أصلاً ؟.. .

ـ « على كل حال من المفيد أن يذهب المرء لطبيب الأسنان من وقت لآخر .. لكن دعينا من هذا .. ولنتكلم عن أبحاثى . أنا متأكد من أن بونابرت قتل .. لكن من فعل هذا ؟؟؟ .. »

* * *



3 ـ سهرة مع الإمبراطور ..

حياة مملة هى ..

بالنسبة لرجل قضى حياته على صهوة الفرس يلوح بسيفه ، ويقود الجيوش وسط دخان المدافع ورائحة البارود ، بينما الطلقات تصفر من حوله .. رجل كهذا لا يمكن أن يتحمل تلك الحياة الوادعة فى سانت هيلانة ..

جاء بونابرت أسيرًا إلى الجزيرة عام 1815 بعد هزيمته فى ووترلو ... لقد وجدت إنجلترا أن هذا الأسد الجريح خطر جدًّا . لا أحد يجسر على قتله طبعًا .. لا يمكنك أن تقتل قائدًا بهذا الحجم ، لذا قررت أن تبقيه فى قفص بعيد بقية حياته ..

وهكذا اختارت له الجزيرة القاحلة ... ومعه حاشية من الفرنسيين والمتحمسين له الذين فضلوا أن يعيشوا معه إلى آخر يوم ، وهم مجموعة من القوم المتعصبين الذين يقدسون نابليون إلى درجة تقديم القرابين له . لا تنس أن لفظة (شوفينية Chauvinism) مشتقة من اسم جندى فرنسى متحمس لوطنه لدرجة الجنون من ذلك العصر .. طبعًا أنت تعرف معنى شوفينية لو كنت من قراء هذه السلاسل ..

هكذا يهتفون فى كل لحظة :

ــ « فيف لا فرانس .. تحيا فرنسا ! »

حياتهم كلها أزرق وأبيض وأحمر .. ألوان العلم المثلث ..

لكنهم كانوا مضطرين لتحمل هذه الحياة القاسية فى جزيرة الماعز هذه ، خاصة والبريطانيون فى كل مكان .. يمكنك أن ترى كل أنواع المسيرات العسكرية البريطانية ، وتسمع أنشودة (الجرينادير) وصوت الطبل ..

كانوا يطلقون عبارات السباب من تحت شفاه مغلقة كمدًا ، ويبتلعون غيظهم . الفائز يأخذ كل شىء . هذه هى القاعدة وعليهم أن يقبلوها ..

البيت الذى اختاره البريطانيون لبونابرت يقع داخل الجزيرة محاطًا بنطاق من الصخور . الفكرة هنا هى إبعاده عن البحر حتى لا تحدث محاولة هرب أخرى . اسم البيت (لونكوود) .. وهو ليس قصرًا بالتأكيد .. جدرانه نخرة زحفت عليها الرطوبة ، كما أنه كان باردًا .. وقد قيل وقتها إنها طريقة قتل بطيئة ضد هذا الخصم العنيد .

فى البحر هناك بارجة تدور حول الجزيرة من وقت لآخر ، وهناك قوارب تقوم بدوريات منتظمة ..

البيت نفسه أنيق .. هناك حديقة صغيرة بها أزهار من أنواع اسمح لى بألا أسميها لأن الأزهار عندى تختلف فى اللون فقط ..

فى البيت هناك مطبخ وعدة غرف للحاشية ومكتبة عامرة بالكتب وهناك معزف .. هناك كذلك مجموعة التذكارات التى سمحوا لبونابرت بأن يصحبها معه إلى هذا المكان القصى ..

أما عن مجموعة مرافقى الإمبراطور المتحمسين هؤلاء ؛ فبوسعنا أن نذكر الضابطين الوسيمين القويين (برتران) و(مونتولون) ..

برتران له شارب كث جدير برجل عسكرى ، أما مونتولون فله ملامح أدونيسية وسيمة .. وقد جاء هنا مع زوجته .. زوجته امرأة فرنسية بارعة الجمال ..

سوف نعرف الباقين حالاً ....

* * *

عنـــد المساء دخـــل الفرنسيون إلى غرفة الجلوس حيث كان الإمبراطور قد انتهى من العشاء . كانت هذه الغرفة ذات أرائك مريحة وتنيرها شمعدانات ثمينة ، بينما راحت الستائر تهتز مع الريح التى تتسرب من الخارج .. ريح ساخنة تزيد الحر ولا تخففه .

للمرة الأولى ترى عبير بونابرت هنا ..

لو كنـــت تذكر فهى قـــد رأته بشـــكل عابر عنـــدما كانت مع هانيبال .. كـــان بونابرت يدرس كل تكتيكات هانيبال الحربية العبقرية ، وهو يردد :

ـ « غاااااائع ! »

اليوم تقابله من جديد .. لكنها تراه مهزومًا فى نهاية رحلته .

كان بونابرت فى هذه الفترة أقرب للصورة التى تراها فى الكتب الدراسية . أميل للبدانة والصلع .. وله لغد صغير يدل على سنوات عمره الخمسين .. فى عينيه نظرة مهزومة لا شك فيها ، لكنه تعلم أن يتجنـــب أن تلتقى عيناه بأحـــد .. كما

اعتاد أن يشمخ برأسه ليبدو أقوى ، وهناك لمسة من الخمول العام فى تصرفاته .. برغم هذا فالحقيقة أن حضوره كان قويًا أخاذًا .. حتى لو لم تعرف أنه الإمبراطور ، فلسوف تصمت عندما يتكلم وتشعر بشىء من الرهبة فى حضوره ... الأومف Omf التى يعرفها مخرجو هوليوود ولا يعرفون كيف يصفونها ..

وقف الجميع بانتظار أن يجلس الإمبراطور ..

وعندما جلس أشار لهم فى كبرياء بما معناه (استريحوا) .. ثم نظر إلى رجل بدين يضع مريولة حول خصره ويضع قلنسوة الطهاة على رأسه . خمنت عبير بذكاء أن هذا طاه . قال الإمبراطور :

ــ « كان الطعام شهيًا أيها المواطن بيارون ... صحيح أنك أكثرت من الفلفل لكنه لذيذ .. »

قال بيارون فى كبرياء وهو يشمخ برأسه :

ــ « الفلفــل ضرورى لينشــط الأمعــاء فى هــذا الطقس الحــار يا سيدى الإمبراطــور .. لكننــا سنراعى ذلك فى الوجبة القــادمة .. »

هذا إذن من الطهاة الفرنسيين شديدى الكبرياء الذين يشعرون بأنهم شعراء . حذار أن تنتقد طهى أحدهم وإلا طلب أن يبارزك بالسيف .

ثم إن الإمبراطور التفت إلى رجل له ياقة عالية وشديد الغرور بدوره وقال :

ــ « المواطن مارشان .. أرجو أن تجلب لنا بعض النبيذ . خذ المفتاح من الضابط مونتولون .. »

قال المدعو مارشان بنفس الغرور :

ــ « البريطانيون الملاعين لم يجلبوا لنا المزيد يا سيدى الإمبراطور .. »



فيما بعد سوف تكتشف عبير أن مارشان المغرور هذا ليس سوى رئيس الخدم !

التفت بونابرت إلى ضابط يقف وقد نزع قبعته وأبقاها تحت إبطه .. رجل فى الأربعين من عمره ، لكن شعر رأسه شاب تمامًا ...

قال بونابرت للضابط :

ــ « أيها الضابط جورجو .. اتصل بضابط المراسلة البريطانى وقل له إن النبيذ غير كاف . حرمان الإمبراطور من النبيذ طريقة وضــيعة جدًا بالنسبة لبريطانيا ، حتى لو كانت هى (إنجلترا المخادعة) Perfidious Albion .. إنهم أشرار لكنهم لم يهبطوا لهذا الدرك .. »

عبارة (إنجلترا المخادعة Perfidious Albion) سوف تسمعها عبير مئة مرة فى اليوم .. توشك هذه أن تكون شعار الفرنسيين ..

ثم إن بونابرت قال بنغمة رقيقة :

ـ « الآن سوف نسمع بعض العزف على البيانو .. »

هنا أدركت عبير أن الكل ينظر لها .. ياللكارثة .. فى حياتها لم تستطع قط سوى عزف (والله يا زمان يا سلاحى) وبإصبع واحدة ، لكنها هنا ماريا فالفسكا .. لابد أن البولندية الحسناء كانت تعزف البيانو كالشيطان ...

حبست أنفاسها واتجهت إلى البيانو حيث وضع شمعدان ونوتة موسيقية ، وانحنى الضابط برتران ليلثم يدها ثم يعينها على الجلوس ...

أخذت شهيقًا ولامست المفاتيح الرهيبة ليدوى النغم الذى يجعل قلبك يرتجف فى الضلوع ..

بدأ اللحن يدوى .. لحن قادم من نياط قلب يتمزق .. وفى دنيا الخيال راحت جوقة ملائكية تنشد الشعر ، وتسلل اللحن ليسد ثقوب الكون ويصلح ثلمات الحياة ويداوى جراح المعذبين . كان اللحن يحمل أجراس كنائس الوطن

وشقشقة الطيور فى المــارن .. وبرغم هذا كان يحمل رائحة سهول بولندا ..

لقد كانت ماريا عبقرية فى العزف !... وشعرت عبير بامتنان لأن فانتازيا لم تخذلها ..

الكل يصغى كأنهم مسحورون ... على رءوسهم الطير ، وثمة امرأة تقف جوار مونتولون سالت دمعة على خدها الأسيل فمسحتها بكم ثوبها الدانتيل .. فيما بعد سنعرف أن هذه هى زوجته ..

اللحن يسرى كما الجدول الصافى ..

يقف بونابرت وعلى وجهه تلك النظرة التى تراها فى كتب التاريخ .. يميل رأسه قليلاً . يدس يده فى سترته بين الأزرار كما هى العادة ...

ثم ...

آى ى ى ى !

يصرخ ويسقط على ركبتيه ..

وأمامه على الأرض رأت عبير بركة صغيرة من القيء الدموى .

* * *



4 ـ الإمبراطور المريض ..

كانت هناك صورة عملاقة معلقة لبونابرت وهو يدس يده بين أزرار سترته ، وقد سلط عليها كشافان جعلاها شبه مجسمة ..

كان هذا مكتب د . (فورشوفود) الداخلى ، الذى ازدان بالكتب الغليظة وبالصور على الجدران . وكان هناك مجهر وموقد بنزن على منضدة .. خليط غريب من مكتب ومختبر ..

قال د. (فورشوفود) لعبيــر وهــو يشــعل غليونًا ويتأمل الصورة :

ـ « فى أى سن مات بونابرت ؟ »

بالطبع لا تعرف .. دعك من أن فمها يؤلمها بعد كل المذابح التى دارت فيه . فقال لها :

ـ « سن 51 سنة .. ألا يبدو هذا صغيرًا أكثر من اللازم ؟ »

بصقت لتستطيع الكلام .. ثم قالت بلعاب مليء بالدم :

ـ « عبد الناصر توفى فى سن 52 سنة .. »

ــ « وأثار الكثير من الشكوك حول وفاته ، وقيل أن الموساد قتله بالسم ، وهذا برغم أنه كان مصابًا بالسكرى البرونزى وذبحة صدرية صامتة . مع رجل نشط لا يعانى مرضًا مزمنًا مثل بونابرت يجب أن نجد لوفاته سببًا واضحًا .. »

ثم تناول ورقة مكتوبة بالفرنسية .. نسخة مصورة من ورقة أصلية عتيقة كما هو واضح ، وقال :

ــ « هذه الجملة بخط الإمبراطور .. يقول فيها بشكل واضح : أننى أموت قبل أوانى لأن (إنجلترا المخادعةPerfidious Albion) قد اغتالتنى .. »

ونفث سحابة دخان كثيفة كادت تخنقها .

قالت وهى تشهق طلبًا للهواء :

ــ « لحظة .. هل بونابرت خبير فى الطب الشرعى ؟ إن كراهيته لانجلترا أسطورية فلو أصيب بإسهال لاتهم إنجلترا .. »

ــ « هذا هو بيت القصيد .. عندما تكونين ألد أعداء بريطانيا وعندما تكون بريطانيا مسئولة عن إطعامك فعليك ألا تعتبرى الإسهال مجرد شىء عارض !! ! »

مشى جوار الجدار يتأمل الصور المعلقة ، ثم توقف أمام لوحة لبونابرت .. لوحة من اللوحات التى تراها فى كتب التاريخ فلا تميز شيئًا لأنها أبيض وأسود وطباعتها رديئة جدًّا .. لكنها هنا واضحة .. الرجل بدين فعلاً ..

قال فورشوفود بلغته السويدية المستعصية على الفهم :

ــ « هذه من الصور الأخيرة التى رسمت لبونابرت فى سانت هيلانة .. تلاحظين بدانته وتورم جسمه .. قالوا إنه كان يقىء باستمرار .. وقالوا إنه صار كسولاً خمولاً ... هل تعرفين معنى هذه الأعراض ؟ »

ــ « معناها أنه صار خمولاً وبالتالى بدينًا ! »

نفث المزيد من الدخان وقال :

ــ « معناها أنه مسموم .. وهذا السم هو الزرنيخ بلا شك .. »

كان قــد نشر ملخص هــذه الدراســة فى مجلة (الطبيعة) عام 1961 .. هى قرأتها وتعرف ما يفكر فيه ، لكنها تريد سماع كلماته الخاصة ...

ــ « كان على أن أثبت نظريتى .. لكن كيف ؟.. هل أطلب من الحكومة الفرنسـية أن تشرح بونابـرت المدفـون حاليًا فى (الأنفاليد) ؟.. كانوا سيقومون بتشريحى أنا لو طلبت ذلك .. »

ــ « وماذا فعلت ؟ »

التمعت عيناه وراء نظارته . وقال بشفة سفلى راجفة :

ــ « الشعر ... ماذا عن تحليل الشعر ؟ »

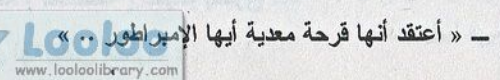
* * *

أرقد أيها الإمبراطور الجريح فى فراشك وانظر للعالم بعينين زائغتين وجبهة يغمرها العرق .. جفف الدم السائل من ركن فمك وانظر للمحيطين بك ..

يجلس د. أنتو مارشيه طبيب بونابرت جواره ويضع أنامله على النبض ، ثم يمرر أنامله على بطنه ..

يدق بعض الدق على المعـدة بطريقة د. أونبروجر الشهيرة ، ويفتح الجفنين .. ثم يقول :

ــ « أعتقد أنها قرحة معدية أيها الإمبراطور .. »



ثم يوصى له بطعام خفيف من السوائل وجرعات من دواء قام بتركيبه بنفسه ، ثم يوصى كذلك باللبن . الكثير منه .. فى هذا العصر لم يكن هناك هامش حركة أمام الطبيب تقريبًا ..

ثم صفق بيده يدعو الواقفين للتفرق قائلاً ما معناه بالفرنسية :

ــ « ياالله يا حضرات .. مفيش حاجة تتشاف .. »

هكذا غادر الـ 35 واحدًا الغرفة .. ترى من كان منهم صادقًا فى لهفته وحزنه ومن كان يتظاهر بالحزن .. مشهد مماثل حدث بعد قرون مع وفاة الزعيم ياسر عرفات بالبولونيوم المشع .. لا شك أن أحد ممن كانوا يبكون عليه هو الذى دس له السم ..

ــ « انتظرى يا ماريا ! »

كان هذا صوت الإمبراطور الواهن .. فتوقفت عبير .. وأدركت أنها تبكى بحرارة ..

تراجعت لتجثو على ركبتيها جوار الفراش ومدت يدها لتضعه فى كفه (الملظلظة) المبللة بالعرق ..

قال لها بنفس الصوت :

ـ « أنا بخير .. ليس كل من تناول عصيدة حارة فى العشاء جديرًا بأن تذرفى الدمع من أجله .. »

لم تكن عبير تعرف الكثير عن ماريا فالفسكا ..

مثلاً لم تعرف أنها بولندية حسناء رحبت ببونابرت بشدة عندما دخل بلدها ، لأنها اعتبرته المحرر الذى سينقذ وطنها من الروس والألمان .. كانت من الفتيات اللاتى يلقين الورود عليه حيثما ذهب . وبلغ إعجابها به درجة بالغة حتى أنها تخلت عن زوجها من أجله .. نعم .. لقد كانت متزوجة !

علاقة طويلة بين الاثنين خلدتها الكتب وخلدها فيلم جميل اسمه (الغزو) من بطولة جريتا جاربو . لكنها فى الواقع علاقة بين زوجة خائنة وطاغية .. بالطبع يستطيع الفن أن يحول كل شىء إلى عمل راقٍ . كتب أحمد رجب ساخرًا عن ليلى العامرية فى مسرحية شوقى التى جعلها الشاعر تهيم حبًّا بقيس وهى متزوجة من رجل آخر ، وهذا الآخر يغادر الخيمة تاركًا زوجته لقيس ، قائلاً : أنت حبيب القلب والزوج أنا !!... لكن فن شوقى وعبد الوهاب يحيلان هذا المشهد المخزى إلى شىء نبيل جدًّا !

قال بونابرت وهو ينظر للستائر التى تحيط بالمخدع والتى تحملها تماثيل برونزية لنساء عاريات :

ـ « لقــد ظفر بى البريطانيون .. لن أغــادر هــذه الجزيرة حيًّا .. »

قالت له وهى تلثم يده :

ـ « سوف تغادرها أيها الإمبراطور وتسيطر على أوروبا كما حدث من قبل .. »

ـ « أنت تعرفين أن هذا مستحيل .. لقد تعلمت طيلة حياتى أن اليأس عاطفة مستحيلة ، لكن البريطانيين نجحوا فى أن يجعلوا المستحيل ممكنًا !.. »

ثم راح يلهث وهو ينظر للسقف .. وظهرت قدمه العارية من تحت الغطاء ، فلاحظت عبير أنها منتفخة جدًّا .. ليست ذات خبرة طبية لكنها تدرك أن معنى هذا مشكلة فى الكليتين أو القلب . لماذا لم يعلق طبيبه على ذلك إذن ؟

* * *

فى الصباح جاء ضابط بريطانى ومعه طبيب ...

الغطرسة تمشى على قدمين .. وبرغم هذا هناك لمسة من القلق لا شك فيها . كل الأخبار تنتقل هنا بسرعة ، وقد سمع البريطانيون أن الإمبراطور مريض . هم بالطبع لا يثقون فى الطب الفرنسى لذا أرسلوا واحدًا منهم ليفحص الإمبراطور ..

تقدم الضابط مفرود القوام وسيفه يتدلى جواره ، فوقف على باب الإمبراطور .. ثم أنه خلع سيفه وأعطاه للضابط جورجو على سبيل البروتوكول ، ثم تقدم ومعه الطبيب إلى المخدع . نزع قبعته وهز رأسه محييًا (عبير) ثم قال بفرنسية رديئة جدًّا :

ـ « نرجو أن تكون صحة الحاكم الفرنسى مستقرة .. إننا لنرجو أن يسمح لنا بفحصه .. »

قال بونابرت ضاغطًا على أعصابه ليبدو لطيفًا :

ـ « شكرًا سيدى . لكننى أثق برأى طبيبى د أنتو مارشى ، وقــد فحصنى ووصــف لى العــلاج . إن كرم بريطانيا الزائد يغمرنى .. »

بلهجة رسمية :



ـ « سوف يسرنا أن تطلب منا أى طلب .. ويسرنا أكثر أن نسعى لتحقيقه .. »

ثم هز رأسه من جديد .. وابتعد الرجلان يمشيان بخطوة شبه عسكرية .

قالت عبير لبونابرت وهى ما زالت جاثية على ركبتها جواره :

ـ « منافقون !... لا يبالون بصحتك البتة ! »

ابتسم ومد يده يحاول الوصول لكأس الماء ، فتناولت الدورق وصبت له بعضه .. شرب جرعة كبيرة وغمغم :

ـ « بالعكس .. ليس من مصلحتهم أن يحدث لى شىء وأنا فى قبضتهم . سوف يتهمهم العالم كله بقتلى .. »

تعرف عبير هذا .. إدارة السجن فى أى بلد متحضر تقلق على صحة المساجين كأم رؤوم .. أى شىء يحدث لهم يتهمها مباشرة ويفضحها ..

إنجلترا المخادعة !!

ـ « عندما أموت .. تأكدى من أنهم سيشرحون جثتى .. يجب أن تعرف فرنسا سبب وفاة مخلصها .. »

قالها بونابرت ثم أردف :

ـ « من يهمهم أن أموت هنا هم البوربون .. هؤلاء يهمهم ألا أعود من جديد .. أن أمحى من على ظهر الأرض .. »

كان البوربون يمثلون الملكية التى قامت ضدها الثورة ، وقد فروا من فرنسا بعد الثورة ثم عادوا لها من جديد ليمارسوا كامل سلطتهم . إنهم أقرب شىء للفلول فى ثقافتنا المصرية . الآن استرد الفلول سلطتهم وصارت فرنسا لهم .. يجب ألا يعود بونابرت بأى ثمن ..

لكن هل يصل الأمر إلى القتل ؟

* * *



5 ـ الإمبراطور المريض (مرة أخرى) ..

الإمبراطور يتحسن .. لا شك فى هذا ...

غادر الفراش وراح يجوب الجزيرة مع مرافقيه ، ومعه كلبه الوفى . وذهب إلى الشط غير ذات مرة وراح يقذف الحجارة فى الماء محاولاً جعلها تتواثب ثلاث مرات .

رأت عبير اللمعة من جديد فى عينيه مع الكثير من المرح والأمل . كان يعيش قصة حب ملتهبة معها برغم فارق السن المخيف ، لكنه كان يتمسك بالحياة فى آخرها .. لقد قضى العمر كله وسط الجيوش ونيران المدافع ورائحة أحذية الجنود ، فلم يذق الحب بمعناه الحقيقى سوى مع هذه البولندية الحسناء ..

اعتادت أن تخرج معه وقت العصر ليمشيا على الشط ، وهو يراقب المناورات البريطانية من بعيد .. راح يحكى لها عن بدايته كجندى عادى فى القوات الفرنسية فى إيطاليا ، ثم عن صعوده السريع . حكى لها عن حملته إلى مصر بلاد الأهرام وكيف تخيل نفسه يحمل على رأسه عمامة عملاقة ويدخل الهند على ظهر فيل . كانت تذكر خطوات زحفه إلى عكا من كتاب التاريخ : بلبيس الصالحية العريش غزة يافا حيفا عكا ...

حكى لها عن محاولة غزو روسيا تلك المحاولة التى قضت على جيشه فى الثلج الروسى الرهيب ...

حكى لها عن ولنجتون اللعين خصمه الدائم وعن معركة ووترلو ونفيه ..

الحق أن هذا الرجل قد عاش حياة ممتازة حافلة ... .

ذات يوم كانت تمشى معه على الشط ، فرأت الضابط جورجو يتكلم مع كبير الخدم مارشان .. كان يتكلم بحدة وعصبية ..

كانت قد لاحظت منذ البداية أن جورجو عصبى ميال للشجار وقصير الفتيل ، كما أنه من الطراز الذى يبلل وجه من يحادثه باللعاب .

لم يشعر الرجلان بقدومها .. فلما رأياها توقفا ...

كانا يعرفان أن نفوذها قـوى جـدًا ، وأن الإمبراطور يطيعها طاعة عمياء ويثق بصدقها . هكذا توقفا عن الشجار ، وبعد دقيقة شمت رائحة العطر الذى يضعه بونابرت .. إنه هنا ..

وقف خلفها وقال للرجلين بلهجة من فهم ما حدث :

ـ « ليعد كلٌ لعمله ، وأنت أيها المواطن مارشان .. تأكد من أن خزانة الخمور كاملة .. »

ابتعد الرجلان فى صمت فقال بونابرت لها :

ـ « جورجو غير متزوج .. لا توجد امرأة تتحمل عصبيته .. لهذا هو نافد الصبر عصبى .. أى أن عصبيته تنفر النساء فيزداد عصبية . وهو يكره هذه الجزيرة بجنون لأنه لا يجد ما يفعله .. كان محاربًا ممتازًا فيما سبق أما اليوم فهو أقرب إلى سكرتير .. »

هزت عبير رأسها فى فهم ..

قدم لها بونابرت باقة من الورد ، ثم قال لها :

ـ « الليلة تأتين لمخدعى .. »

ـ « لماذا؟ .. »

اندهش لسؤال كهذا ، فقال بارتباك :

ـ « كى .. كى ... الأنثى التى تزور رجلاً فى مخدعه لا تسأل أسئلة .. »

لا . هذا لن يكون .. استجمعت شجاعتها وقالت مصرة :

ــ « هذا لن يكون !! »

ــ « أنت لا تفهمين .. »

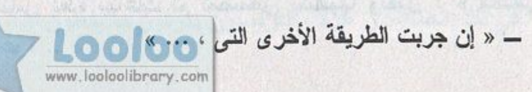
ومد يده إلى الساعة المتدلية من حزامه .. لوح بها ولفها حول أصابعه ثم هوى بها على الصخور وهشمها بحذائه فى ثانية . ثم نظر لها بعينين من نار وقال :

ــ « لا توجد امرأة ترفض طلب الإمبراطور ... يمكننى أن أدمر وطنك بولندا كما دمرت هذه الساعة ! »

كان قد ألقى هذا التهديد منذ زمن لكنه الآن بدا لها سخيفًا .. لا يمكنه قتل عصفور فى بولندا لكنها لا تجرؤ على قول هذا ، دعك من أنها تحبه فعلاً ...

ــ « مولاى .. من الصعب أن يفوز المرء بامرأة مخلصة بهذه الطريقة .. »

ــ « إن جربت الطريقة الأخرى التى ، ... »



ثم توقف وتحسس معدته .. يبدو أن الألم قد بدأ من جديد . تجمع العرق على جبينه وبدا موشكًا على فقد الوعى ، ثم إنه انحنى وأفرغ معدته ..

أما هى فكانت تتواثب كالماعز فوق الصخور متجهة نحو البيت .. د / أنتو مارشى لابد أنه هناك ، ولابد أنه قادر على عمل أشياء كثيرة . فى طفولتها كانت زيارة الطبيب تكفى لشفائها قبل أن يفعل الطبيب أى شىء أو يلمسها .. هناك شىء كهنوتى يحيط بهذه المهنة كأنها تتلقى البركة مثلاً .

أنتو مارشى .. تعال من فضلك !

وسرعان ما وجدت الضابطين برتران ومنتولون .. كانا واقفين يتكلمان عند مدخل البيت ، مع زوجة الأخير ، وهى امرأة جميلة فعلاً لكنها سمجة الظل كالغربان .. لا يخفى على فطنة القارئ قوى الملاحظة أن يدرك أن المرأة تحمل بعض الحقد على عبير لأنها ــ المرأة ــ معجبة ببونابرت .. بل يقال إنها على علاقة به كذلك ... لكن ليس هذا وقت الأقاويل . كما كانت جارة عبير الشمطاء أم بلبل تفعل .. تلوك سمعة وشرف الناس لعدة ساعات ثم تمصمص بشفتيها وتقول : « مالناش دعوة .. »

كانت عبير تبكى فى هستيريا وهى تردد كلمات غير مفهومة .. برتران لم يفهم حرفًا لكنه قال كلمة واحدة :

ـ « الإمبراطور ! »

الإمبراطور يموت أو جريح أو رجله مكسورة أو مصاب بإسهال أو تم اغتياله .. المهم أن هناك كارثة ، وسرعان ما ركض الرجلان إلى الشاطئ الصخرى حيث كان بونابرت يتلوى ألمًا على الأرض وقد اختلط قيئه بالمياه المالحة الثائرة ..

وتعاونا مع الخدم على حمله إلى البيت ..

* * *

فى تكساس بأمريكا كانت هناك حانة .. حانة صغيرة متداعية الجدران .

فى ذلك المساء التقى هناك مجموعة فرنسيين يدعون كلاً منهم باسـم جاك .. على طريقـة حانة مسيو ديفارج فى قصة مدينتين ..

فى تلك الحانة كان هؤلاء الفرنسيون يعرفون ما يفعلون ..

صاحب الحانة الأمريكى كان متعاطفًا مع الفرنسيين .. كل الأمريكان كانوا متعاطفين مع الفرنسيين وقتها ، وكلاهما يكره بريطانيا المخادعة .. وكان هؤلاء الفرنسيون جنودًا تم نفيهم بوساطة البريطانيين إلى هنا بعد ووترلو ..

قدم لهم صاحب الحانة النبيذ والجبن ، ثم جلس يحاول أن يتابع خططهم .

قال جاك الأول الذى يبدو كبحار :

ــ « لقد أهانونا إهانة بالغة فلم يبق سوى الانتقام .. »

وقال جاك الذى يبدو كبلطجى :

ــ « الإمبراطور يجب أن يتحرر .. »

وقال جاك الذى يبدو كشرطى :

ــ « يجب أن يتحرر .. دعونا نقسم على ذلك .. »

وعلى المنضدة التقت أيدى الجنــود الخشنة مسودة الأظفار بارزة العروق ، وأقسموا بالدم أن يعيدوا الإمبراطور ..

قال جاك الذى يبدو كجندى فرنسى اسمه جاك :

ـ « سوف نقوم بتهريبه من سانت هيلانة ومن ثم يقيم مملكة فى أمريكا الشمالية .. »

قال جاك الذى يبدو كنجار :

ـ « الحل هـو غواصـة بدائيـة .. غواصـة كالتى صنعها الأمريكان .. هذه الغواصة سوف تحوم حول سواحل سانت هيلانة ثم يركب الإمبراطور قاربًا يوصله لها .. »

ـ « المسافة طويلة جدًا حتى يصل إلى أمريكا .. »

ـ « لن يفعل هذا بالغواصة .. سوف تكون هناك سفينة متأهبة لنقله من الغواصة إلى أمريكا .. »

وصب الرجال النبيذ فى الأقداح ورفعوها ... فى صحتكم ... فى صحة الإمبراطور العظيم !

* * *

مات بونابرت بعد هذا بيوم واحد ... .



6 - لماذا مات ؟!

هناك لوحة شهيرة تظهر مشهد وفاة بونابرت .. ربما رأيتها أنت من قبل .

يرقد فى الفراش الكبير ناظرًا للسقف ، وكفاه تعتصران الملاءة بأسلوب Carphology الذى يعرفه الأطباء . والستائر تبدو كأنها أكفان مبكرة ..

يلتف رجال الحاشية حوله وقد أطرقوا الرءوس .. الرجال كاسفو البال يحتضنون قبعاتهم والنساء دامعات يشهقن .. الحقيقة أنه يسهل أن تعتقد أنه مات اختناقًا بسبب نقص الهواء فى الغرفة . .لا توجد ذرة أكسجين واحـــدة هنا إلا ملتحمة بالكربون ...

عبير جاثية جوار الفراش تمسك بيد البطل .. وتبللها بدموعها .. رأسها منخفض لذا لم يرها الفنان الذى رسم اللوحة .. الفنان نفسه كان يقف وقــد نصب لوحتـــه وألوانه وانهمك فى وضع الأصباغ على اللوحة . سأله بونابرت بصوت واهن :

ـ « ماذا ترسم ؟ »

قال الفنان فى حماس وهو يوزع بعض اللون الأزرق بأصابعه :

ـ « لوحة وفاة بونابرت يا سيدى ..! »

الإضاءة خافتة تناسب الموقف فعلاً . عندما تخرج تجد العلم المعلق فوق البيت منكسًا ، بينما يكفهر الجو ويصطبغ بلون رمادى كئيب .. يوم جميل للموت كما ترى ..

ما هو تاريخ اليوم ؟.. لا أذكر طبعًا .. يمكنك أن تجده بضغطة على زر البحث فى جوجل . هذه مزية زمننا الذى لا يطالبك بأن يتحول مخك إلى مكتبة .. هناك معلومات لا قيمة لها ، هى التى يحشون بها عقول الطلاب .. معلومات يمكن أن تجدها بعد دقيقة على الإنترنت . على كل حال هو 5 مايو 1821 .. بحثت لك عنه كى أريحك ..

اليوم كئيب فى حياة فرنسا ..

دقات الساعة رتيبة تنذر باقتراب كارثة ..

دقات على الباب ثم ظهر الخادم الفرنسى ليقول فى تهذيب :



ـ « البريطانيون يسألون إن كان الإمبراطور قد مات بعد .. يريدون بدء التشريح .. »

قال أحد الواقفين :

ـ « قل لهم أن يصبروا قليلاً .. »

يبدو أن بونابرت شعر بخجل لأنه يعطل كل هؤلاء القوم ، مع خوفه من أن يشفى فينتفى الغرض من اللوحة ، فقال كلماته الأخيرة التى انتظرها الجميع ، وهى كلمات غامضة كعادة المحتضرين :

ـ « فرنسا .. قائد .. جوزفين .. »

جوزفين هى زوجته طبعًا .. ثم أطلق شهقة ومال رأسه جانبًا . اتجهت مدام منتولون إلى الساعة لتوقف محركها فى حركة درامية .. معناها أنها تريد تثبيت الزمن عند هذه اللحظة ...

تقدم الضابط برتران فرفع الملاءة وغطى بها وجه الإمبراطور .. وفى صوت خفيض أنشد الواقفون نشيد المارسلييز ...

* * *

الآن يبدأ الحفل ..

حملوا جثة الجنرال إلى قاعة كبرى ، ووزعوا المصابيح حول الجسد .. ثم ظهرت أدوات التشريح الرهيبة .. نصال .. مناشير .. مباضع ..

وما هو أفظع من النصال كان سبعة أطباء بريطانيين ، من ذوى السوالف الكثة الذين تراهم فى أول الكتب الطبية .. السير كذا .. والسير كذا .. من الجمعية الملكية .. والسير كذا عميد طب أدنبره .. إلخ ...

كلهم جاء الجزيرة ليحضر حفل التشريح .. يجب أن نفتح بونابرت ونراه من الداخل . سنمرح كثيرًا . وهكذا تهيأ الدكتور (موريسون) ورفع المبضع ... هنا أوقفه صوت بريطانى :

ـ « توقف يا سيدى .. »

نظر فى دهشة إلى مصدر الصوت ، فوجد قائد الحامية البريطانية يتكلم :

ــ « لا أعتقــد أنه من الحكمة أن نجرى التشريح وحدنا يا سيدى لو كان لى أن أقول هذا ، وإلا فكيف بحق السماء يصدقنا الفرنسيون أكلة الضفادع لو سمحت لى .. »

ثم انفتح الباب ليدخل طبيب بونابرت د / أنتو مارشى ..

وقف والقبعة فى يده .. شاحب الوجه منكوش الشعر قليلاً .. ثم أحنى رأسه فى تهذيب وبحركة أقرب للفروسية وقال بإنجليزية فرنسية فظيعة :

ــ « سيدى .. »

أحنى الطبيب البريطانى رأسه وقال بفرنسية بريطانية لعينة :

ــ « سيدى .. »

ــ « لى الشرف أن أبدأ هذه العملية .. »

ــ « سوف يكون من دواعى سرورنا أن تبدأ .. »

وناوله المبضع بحركة رقيقة .. ثم قرب الرجال المصابيح من الجثة ، وهم ينظرون فى فضول إلى الطبيب الفرنسى الذى قال :

ــ « سوف أبدأ بعمل قطع عرضى لو سمحتم لى .. »

قال الطبيب البريطانى :

ـ « بل نحن نفضل القطع الطولى .. »

قال الفرنسى فى كبرياء :

ـ « نحن لا نفتح سمكة رنجة يا مسيو .. هذا امبراطور فرنسا .. »

ـ « الطب الفرنسى متآخر جدًّا عن الطب البريطانى .. »

ـ « والعقل البريطانى متآخر جدًّا عن العقل الفرنسى .. »

كانا يتكلمان فى حدة وقد وضع كل منهما مبضعه تحت عنق الآخر ، فتدخل قائد الحامية البريطانى وقال وهو يقف بينهما :

ـ « أيها السيدان .. لن نختلف لأشياء صغيرة كهذه .. فليفتح الطبيب الفرنسى الإمبراطور كما يروق له .. إنه ضيفنا .. »

هكذا صمت الجميع ..

راح الطبيب الفرنسى يعالج الشق العرضى ، ثم راح يفحص الرئتين والقلب ... المعـدة .. راح يتحسس الجدار ، ثم نظر للأطباء البريطانيين وقال :

ـ « هذه إيلسيغ .. »

لم يفهموا التعبيـــر ... معذرة هــل تعنى السير ؟.. ما معنى هذا ؟.. جاء ابن حلال منهم بقاموس إنجليزى ألمانى .. وجاء آخر بقاموس ألمانى فرنسى ...

ـ « إيلسيغ بالفرنسية معناها بالألمانية هو جشفير .. جشفير بالإنجليزية معناها : قرحة .. »

آه ه !.. تصـــايح البريطانيون وقــد فهمـــوا .. لهذا كان الإمبراطور يفرغ معدته دمًا . من الطبيعى لرجل بهذا التوتر وهذا الطموح وهذه العصبية أن يصاب بقرحة . وقال أحدهم فى ذكاء :

ـ « لابد أنها قرحة سرطانية .. »

لم يفهم الفرنسى فجرتْ الترجمة إلى الألمانية :

ـ « سرطان معناه كريبس .. »

ـ « وهذا بالفرنسية معناه كانسيغ .... .. »

قال الطبيب الفرنسى فى حماسة :

ــ « نعــم .. نعــم .. سرطان .. قرحــة سرطانية كما هو واضح .. »

وقرب وجهه من طبيب آخر كى يرفع له النظارة .. كانت قد انحدرت من فرط العرق على أرنبة أنفه .

قرحة سرطانية .. على الأرجح هذا هو ما حدث فعلاً . كل صور بونابرت تبين أنه يضع يده على معدته .. لابد أن آلام القرحة كانت شنيعة ..

قال طبيب بريطانى قصير القامة له صوت رفيع كالصراصير :

ــ « لكن الإمبراطور كان بدينًا .. هل سمعت عن مصاب بسرطان المعدة وبدين من قبل ؟ »

تبادلوا النظرات فى حيرة ولم ينطق أحدهم بكلمة ..





7 - نحتــاج إلى شــعر ..

فتح د. (فورشوفود) علبة صغيرة من الخشب .. فمدت عبير أنفها لترى ما فيها ..

كانت هناك شعرة .. شعرة واحدة موضوعة بعناية فى الصندوق . وقد تم تثبيتها بشريط لاصق من الطرفين إلى أرضية من الخشب الأبيض الأنيق .

نظرت عبير للشعرة فى غباء ، فقال فورشوفود :

ــ « هذه شعرة من رأس بونابرت طبعًا .. »

ــ « وهل قمت بانتزاع شعرة من رأس بونابرت ؟ »

ــ « هناك من فعل هذا .. وأنا حصلت عليها .. لقد سافرت لفرنسا خصيصًا من أجل هذه الشعرة .. »

رومانسية غريبة نوعًا .. كانت تعــرف عشاقًا يحتفظون بخصلات شعر حبيباتهم أو مناديلهن الورقيــة ، هو نوع من الهيام الزائد يقترب من عقــدة (الفتيشية) أو (التوثين) كما يطلق أطباء النفس العرب عليها ..

لكن لماذا يقع أحدهم فى حب بونابرت ؟

اقتادها فورشوفود إلى المختبر الصغير فى ركن الغرفة ، حيث كانت تنتشر أوراق علمية عديدة .. وصب لنفسه بعض القهوة الساخنة .. تمنت أن يقدم لها بعضها لكن هذا مستحيل طبعًا .. سوف تنزف أسنانها ..

ــ « كنت مهتمًا بالتاريخ بشدة ، وخطر لى أن وفاة الإمبراطور كانت غريبة فعلاً .. وفاة فى سن 51 سنة .. لا تبدو قابلة للبلع جدًا . هل سرطان المعدة يؤدى للبدانة وتورم القدمين ؟.. أنا طبيب أسنان لكن خلفيتى الطبية جيدة . فكرت إن كان من الممكن أن هناك من سمم الرجل ؟.. كيف يمكن إثبات ذلك ؟ »

ثم حك لحيته وقال :

ــ « الأعراض التى أصابت نابليون .. كما قلت لك هى تتفق كثيرًا مع أعراض الزرنيخ .. الزرنيخ الـذى أطلقوا عليه (مسحوق الميراث) لأنه محبب لدى الناس لقتل أقاربهم الأثرياء . يمكن لجرعات بسيطة منتظمة أن تمر بلا ملاحظة فلا طعم له ولا رائحة .. هكذا تتيح الجريمة الكاملة ، والأطباء

يجدون أنفسهم أمام مرض غريب لا تفسير له أقرب للنزلات المعوية العادية .. »

وأمسك بورقة علمية مصورة على المكتب :

ــ « وجدت هذا البحث لطبيب بريطانى يشرح طريقة كيميائية لفحص شعرة واحدة والبحث عن زرنيخ فيها .. هذا سوف يساعدنى كثيرًا . سافرت إلى فرنسا وقابلت أحد ورثة بونابرت ممن يملكون بعض الشعر من رأسه . حصلت على شعرتين فأرسلت واحدة لانجلترا .. هل تعرفين النتيجة ؟ صاحب الشعرة تلقى جرعة هائلة من الزنيخ .. والظريف أن الطبيب البريطانى أجرى هذا البحث الذى يشير بإصبع الاتهام لبلده فى قتل بونابرت .. »

ابتسمت عبير لطرافة الموقف ..

عبقرية البريطانى أدت لاتهام بلاده بالقتل !

قالت عبير :

ــ « لكن الاتهام بعيد عن بريطانيا إلى حد ما .. »

قال فورشوفود باسمًا :

ـ « تذكرى أن الأمر يشبه قصص (من فعلها ؟) .. لا يوجد أشخاص فوق الشبهات .. فى بعض القصص تبين أن راوى القصة هو الفاعل . هناك قصة كشفت أن القاتل هو بوارو المخبر العظيم .. هناك قصص تبين فيها أن القاتل ليس فى القصة أصلاً ! إذن بريطانيا متهمة كأى شخص آخر ! »

ثم وقف يتأمل لوحة جدارية تبدو كأنها تخطيط لتحليل سبكتروجرافى . أنت تعرف طريقة حرق الخامة وتصوير الطيف الناتج عن الاحتراق هذه ...

قال لها :

ـ « ظلت الإجابة مبهمة .. هناك زرنيخ .. لكن هل هو دليل كاف ؟.. كيف نربط بين ما حدث للإمبراطور وهذا الزرنيخ ؟ »

وارتجفت شفتاه والتمعت عينه فى وله وشوق وقال :

ـ « شعر !.. أريد المزيد من الشعر !.. أريد أن أغرق فى بحيرة من شعر الإمبراطور ! »

ـ « هذا حلم جميل .. لكن كيف ؟.. لن تفتح فرنسا القبر لك .. »

ــ « ليست هذه هى المشكلة .. »

ثم أعاد إشعال غليونه وقال :

ــ « بففت !... فرنسا رفضت بالفعل .. لكن السبب أكبر من تقديس الإمبراطور .. هم يعرفون جيدًا أن البريطانيين لم يكونوا قادرين على الوصول لطعام الإمبراطور وشرابه .. اختراق جدار الشك والحذر مستحيل . معنى هذا ببساطة أننى لو برهنت عن وجود زرنيخ فالفاعل فرنسى !! »

كانت عبير تدرك هذا الموقف الخالد .. لا توجد دولة تقبل الاعتراف أن هناك خونة من بينها . هناك شهوة لصناعة الأبطال حتى لو لم يستحقوا ذلك . اكتشف أصحاب المتاجر الأمريكان بعد يوم 11 سبتمبر الرهيب أن هناك معاطف فراء ثمينة جدًّا سرقت من متاجر المركز التجارى العالمى .. أعنى من الطوابق السفلية التى ظلت قابلة للدخول فيها . من فعل هذا ؟ بالطبع هم رجال إطفاء نيويورك الأبطال . لم يجسر أحد على الاعتراف بهذا وفضلوا تجاهله ، لأنه لا أحد يريد أن يكتشف أن رجال الإطفاء العظام لصوص .

هكذا رفضت فرنسا فى كبرياء أن يتم هذا التحليل .. لو كان الإمبراطور قد مات فلتكتف بتبرير سرطان المعدة ..

* * *

بعد عشرين عامًا من وفاة بونابرت ، حفر الفرنسيون القبر ..

كان الهدف هو نقل رفاته لتدفن فى فرنسا كما تمنى طويلاً . سوف يدفن فى الإنفاليد فى باريس ، ولسوف يصير مزارًا سياحيًا مهمًّا .

وقف الجنود الفرنسيون الذين جاءوا لنقل الجثة وقفة مهيبة ، بينما المعول يشق طبقات الأرض ليزعج الإمبراطور للمرة الأخيرة ..

هناك بريطانيون يراقبون المشهد فى اهتمام ، وبالتأكيد كان يمكن أن يلتهموا الفيشار على سبيل التسلية ، لولا أن رهبة الموت عابرة للقارات والبلدان . هكذا صمتوا بينما الصندوق الكئيب ينكشف للعيان ..

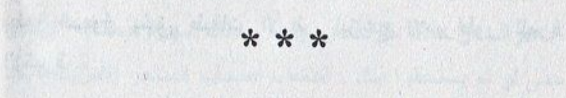
من بعيد يرتفع الموج وتتمايل السفينة الفرنسية (الدجاجة الحسناء) التى سوف تعود إلى الوطن برفات الرجل العظيم . تحتشد السحب فى مشهد مهيب رهيب ..

أخيرًا وبعد جهد جهيد بالحبال استطاعوا أن يرفعوا الصندوق ، وتعاون الرجال على انتزاع الغطاء ..

هنا دوت صرخات الدهشة .. وفى الوقت ذاته عبارات الإجلال والتقديس ..

وسقط بعض الجنود على ركبتهم وقد فقدت عضلات السيقان القدرة على حملهم ..

لقد كانت جثة الإمبراطور سليمة كأنه مات منذ بضع ساعات !



* * *

8 - المزيد من الشعر ..

ارتجفت عبير رعبًا ورهبة وهى تسمع هذه الكلمات ..

فى الثقافة العربية هذا يعنى أن صاحب الجثة شهيد .. فى الثقافة الغربية صاحب الجثة قديس .. وأحيانًا قد يكون مصاص دماء ! أين بونابرت من هذا ؟ ليس شهيدًا ولا قديسًا .. لا أعتقد أنه مصاص دماء على كل حال .

ضحك د . (فورشوفود) وهو يرى رعبها . يتلذذ الرجال دومًا بأن يثيروا رعب النساء .. هذا كامن فيهم منذ كنا أطفالاً .

ـ « الأمر ليس بهذا التعقيد .. لو أن لديك خبرة بعلم السموم لأدركت أن الذين قتلهم الزرنيخ لا يتعفنون بسهولة .. الزرنيخ يمنع البكتريا من تدمير الأنسجة .. »

هتفت فى ذهول :

ـ « إذن ... . »

ـ « إذن هذا يؤكد نظرياتى أكثر .. نحن نقترب من التأكيد جدًا لكنى كنت بحاجة إلى مزيد من الشعر .. »

لماذا لا تبيع الدول شعر أبطالها عندما يموتون ؟.. أنه يشعر بالظلم والغبن ..

* * *

عندما نشر بحث فورشوفود فى مجلة الطبيعة أحدث دويًا هائلاً .. مجلة الطبيعة مجلة محترمة وعلمية رصينة ..

يذكر كاتـب هـذه السطور أن معلمـة ــ أبله إيفـون ــ فى المدرسة الابتدائية التى كان طالبًا فيها حكت للصف هذه القصة ، وقد أصغى الأطفال فى دهشة وذهول .. هم الذين لم يسمعوا عن بونابرت إلا منذ أيام . أعنى أن القصة كانت شهيرة جدًا لدرجة أن طلبة المدارس الابتدائية عرفوها ! لكن أبله إيفون اتهمت البريطانيين بلا تردد !

هكذا انتشرت فى أوروبا حكاية حاجة الطبيب إلى مزيد من شعر بونابرت ..

هنا جـاء الفـرج .. اتصـل به رجـل سويسرى وقال له إن لديه خصلة مـن شـعر بونابرت .. خصلة مكتنزة ممتـازة بها 50 شعرة ..

كيف حصــل عليها ؟ لا أحــد يعــرف .. الحقيقة أن حلاق بونابرت لو كان حيًّا لصار أهم رجل فى العالم ..

تطوع السويسرى بأن يرسل الخصلة بريديًّا ..

هكذا جاء اليوم الذى وجد فيه فورشوفود خطابًا مسجلاً مغلفًا يبدو أن فيه ورقة مقواة .. فتحه فى حذر فوجد خصلة من الشعر مربوطة بشريط حريرى دقيق ..

كان المعنى واضحًا .. هذه هى الخصلة التى طلبها والتى كان مستعدًا لأى شىء كى يحصل عليها .

قال فورشوفود لعبير :

ــ « إن كل خمســة مليمترات مــن الشعرة تحكى قصة أسبوعين فى حياة بونابرت .. نحن نعرف أن الخصلة قد قصت يوم 6 مايو .. هكذا رحت أدرس تركيزات الزرنيخ على طول الشعرة .. »

* * *



كان بونابرت يشعر براحة تامة .. تناول العشاء فى شهية والتهم كميات هائلة من النبيذ والجبن . بعد العشاء قال لماريا فالفسكا أنه يرغب فى المشى معها على الشاطئ ..

تأبط ذراعها ومشيا .. لم تره من قبل بهذه الخفة وهذا الرضا عن الكون ..

قال لها :

ـ « لو لم تكونى فى حياتى لكانت جافة جدًّا .. »

وبدأ يدندن لحنًا فرنسيًّا رقيقًا ..

* * *

فحص فورشوفود أول جزء من الشعرة .. لا شىء .. لا يوجد أثر للزرنيخ ... التحليل الطيفى يظهر خطًّا مستقيمًا لا يدل على شىء .

لم يكن هناك سم فى دم الإمبراطور وقتها ..

* * *

بونابرت عصبى .. لقد اكتشف أن هناك من يسرق الخمور من المخزن ، وقد استدعى مارشان كبير الخدم ووجه له اللوم واتهمه بأنه لص ..

كان فى قرارة ذاته يتوجع .. الإمبراطور الذى أرعب أوروبا كلها يومًا ، هو الآن باهل بلا عمل .. لا عمل له إلا أن يشتم رئيس الخدم ويراقب مخزون الخمور ..

شعر بضيق شديد وهذا الضيق جعله يشتم الرجل بشراسة .. صحيح أن هذه الشتائم الفرنسية لا تبدو قبيحة جدًا لآذاننا لكنها مهينة بما يكفى ..

دخل إلى غرفة الطعام ، وهنا شعر بتقلص هائل فى معدته .. انحنى على السجادة وأفرغ معدته .. قىء شديد جعله غير قادر على الوقوف .. تخاذلت قدماه من تحته .. ولا يدرى متى حمله الرجال إلى الفراش والعرق يغمره ..

* * *

لاحظ فورشوفود أن مستوى الزرنيخ ارتفع فى الشعرة عند هذا الجزء ..

لابد أن هذا حدث فى 12 أو 13 أبريل ..

اتجه إلى مذكرات الإمبراطور التى ابتاع صورتها بثمن باهظ من فرنسا .. راح يفتش الصفحات حتى وصل إلى هذا التاريخ .. الأيام العشرة الثانية من أبريل .. ماذا يقول الإمبراطور ؟

« أنا أموت .. أشعر كأننى أريد أن أفرغ جوفى .. قدماى متورمتان بشدة لدرجة أننى لا أقدر على وضع الخفين فى قدمى . لا أعرف ماذا دهانى ؟.. ربما كنت سقيمًا فعلاً وربما قتلتنى إنجلترا المخادعة .. إن فرنسا سوف تفقد بطلها .. لا شك فى هذا ... »

يتعالى معدل الزرنيخ أكثر فأكثر ..

* * *

جلس بونابرت خارج البيت يراقب الأزهار النامية فى الحديقة . جاء كلبه يتواثب من حوله وذيله يهتز كأنه خارج إرادته .. مد يده وربت على رأسه ..

جاءت مدام مونتولون الحسناء تطمئن عليه فأمسك بيدها فى امتنان وشغف ..

تنفس بعمق وبدا له أن العالم أروع مما يكون ..

* * *

خط مستقيم .. لا يوجد زرنيخ تقريبًا فى الشعرة هنا ..

هكذا لا توجد اهتزازات فى التحليل الطيفى . بونابرت مر بفترة من السلام كما هو واضح ..

فى المذكرات يقول بونابرت :

ــ « أننى أتحسن .. بالتأكيد .. »

* * *

لعـــدة أيام لم يتمكن بونابرت مـــن أن يغمض عينـــه ليلة واحدة .. راح يتقلب .. جرب الطبيب الفرنسى أن يعطيه بعض المنومات لكنها لم تجدِ شيئًا ..

بدأت نوبات شديدة من الإسهال . حتى أنهم حسبوا أنه مصاب بالكوليرا . وظهر طفح جلدى زال سريعًا ...

كان يتدهور باستمرار وخطر للبعض أنه يموت فعلاً ..

وفى مذكراته كرر من جديد اتهامه لبريطانيا المخادعة ..

* * *

كان تحليل الشعر هذه المرة يؤكد وجود كميات من الزرنيخ بلا شك ...

الصورة واضحة .. كلما حدث تدهور فى مذكرات الإمبراطور تزامن هذا مع ظهور الزرنيخ فى الشعرة .. هذه حالة تسمم مزمن بالزرنيخ .. لا شك فى هذا ...

لقد تمت الإجابة عن السؤال الأول .. السؤال الثانى هو من فعل هذا ؟

* * *

9 - التحقيق ..

للمرة الأولى يتم تحقيق فى جريمة قتل بعد 150 عامًا من حدوثها ..

قال لها فورشوفود وهو ينظر فى ساعته :

ـ « هذا موعد العشاء .. هل تقبلين دعوتى لك إلى مطعم قريب ؟ »

بالطبع ليس لديها أى شىء تعمله .. لا أحد ينتظرها فى أى مكان ، ولكن كيف تتناول طعامًا من أى نوع بعد ما تحول فمها إلى حقل ألغام انفجرت كلها .. هناك مئة ثقب .. لا يبدو أن هناك أسنانًا باقية ..

قال لها ضاحكًا :

ـ « سوف أطلب لك طعامًا لينًا باردًا . لا تقلقى .. »

ومد يده ليتأبط ذراعها ، وخرج معها من العيادة .. اعتمر قبعته ومعطفه وقال للممرضة الصارمة السمجة أنه ذاهب للعشاء ، وإن مواعيد اليوم قد انتهت .. لا مزيد من الكشوف .

خرجا معًا يمشيان فى شوارع ستوكهولم الباردة بينما الثلج ينهمر .. بالطبع كانت عبير تلبس معطفًا من الفراء وقلنسوة صيفية لا تدرى كيف ظفرت بهما ..

دخل بها إلى مطعم قريب .. وطلب لهما عشاء لينًا باردًا .. لابد أنه كان نوعًا من الآيس كريم ..

قال لها :

ـ « بما أنك قادرة على السفر فى الزمن ... »

اعترضته :

ـ « لحظة . من قال هذا ؟ »

باسمًا قال كأنه أب يلقن ابنه درسًا :

ـ « لا تنسى أننا فى فانتازيا .. هناك خلط واضح بين الواقع والخيال .. خلط عمدى .. لهذا أعرف أنك صحفية عبر الأزمان وقادرة على التواجد فى عدة أزمنة .. »

فى تشكك قالت :

ـ « لنفرض هذا . وبعد ؟ »

ــ « ليس هناك شخص مثلك أقدر على التحقيق فى هذه القضية .. سوف تعودين إلى الجزيرة وعبر الزمن ، وتحاولين معرفة الفاعل الوغد .. »

لهذا تفهم سر هذا اللطف والدعوة للعشاء . قالوا إنه عليك أن تخاف عنــدما يجلب لك اليونانى هدية .. عليك كذلك أن تقلق عندما يدعوك السويدى على العشاء .

قالت فى كياسة :

ــ « تذكر أننى لا أعرف نقطة البدء .. »

صاح فى مرح :

ــ « هذه نقطة ممتازة للبدء .. أنت متعادلة تمامًا ! »

عندما دفع ثمن الوجبة ، عرفت عبير أنها ستنفذ طلبه على الأرجح .. على الأقل لتروى فضولها الذاتى ..

* * *

الآن نحن فى جزيرة سانت هيلانة ..

تعرف عبير أنها عادت شقراء بارعة الحسن مثلما كانت (ماريا فالفسكا) .. كما قلنا لم تكن فالفسكا الأصلية مع الإمبراطور على الجزيرة ، لكنه نوع من العبث التاريخى الذى تمارسه فانتازيا . وهو عبث ليس فاحشًا جدًا إذا تذكرنا عدد الأفلام الخيالية التى رأيت فيها رجل الكهف يصارع الديناصور ، أو رأيت رواد فضاء يتكلمون على القمر ... وسمعت صوت الانفجارات فى الفضاء الخارجى . هذه أخطاء قاتلة لكن الفيلم يرتكبها عمدًا من أجل بعض الإثارة .

تقف عبير أمام مقبرة الإمبراطور وهم يدلون التابوت فيها ، ثم يهيلون التراب .. تتهانف وتدفن رأسها فى كتف برتران .. الحقيقة أنها تمسح كمية هائلة من المخاط فيه كذلك ... يطوق برتران كتفها بذراعه .. تذكر أنه غير متزوج وقد رحل الإمبراطور . الطريق صار مفتوحًا للظفر بقلب البولندية الحسناء .

التراب ينهال على القبر .. وفى النهاية صلاة قصيرة ومقاطع من كتاب العقد الاجتماعى لمونتسكيو . كثيرون من جنرالات

بونابرت ومنهم جنرال كافاريللى كانوا يطلبون قراءة فقرات من هذا الكتاب على قبورهم .. هذا دين صناعى عجيب اعتنقه كثيرون .

نابليون أوصى بأن يدفن فى باريس ، لكن البريطانيين أصروا على دفنه هنا فى مكان اسمه (وادى الصفصاف) . كان حفار القبور قد كتب على شاهد القبر اسم (نابليون بونابرت) ..

هنا تدخل برتران وقال فى غيظ :

ـ « بل يكتب (نابليون) فقــط .. هــذه هى عادتنا فى دفن الملوك .. الاسم الأول فقط .. »

ببرود بريطانى قال الضابط الذى يراقب العملية :

ـ « لابد من كتابة الاسم كاملاً .. »

ـ « نابليون .. »

ـ « بل نابليون بونابرت .. »

قالها بشفة عليا متصلبة كما يقول البريطانيون .



دار جدل يشبه مشادات الأطفال .. ملحمة من تصلب الرأى ، وفى النهاية قرر الطرفان أن الحل الأمثل هو ألا يكتب أى شىء .. كأن صاحب القبر بلا اسم أصلاً ... .

فى النهاية يتحرك الموكب الحزين مبتعدًا ..

لم يكونوا يعرفون المصير . هل يشحنهم البريطانيون إلى الوطن أم يستمر النفى ؟

بالفعل فوجئوا بصف من الجنود البريطانيين يعترضون الطريق .. يلبسون الأحمر البريطانى اللعين وهم يحملون علم يونيون جاك .. هل سيطلقون علينا الرصاص الآن ؟.. فيف لا فرانس إذن .. لتحيا فرنسا ... .

لكن قائد الحامية البريطانى يتقدم بينما تدق الطبول فى مرسم جنائزى لا بأس به لتوديع بونابرت .. جواره السير هدسون حاكم الجزيرة ..

يقف القائد متظاهرًا بالتأثر ويقول بفرنسية لعينة :

ــ « بوفاة بونابرت قد انتهى الغرض من وجودكم هنا .. أعرف أنكم كتبتم إقرارات بالبقاء هنا للأبد لكننا نعلن تحرركم

منها .. يمكن لمن شاء الرحيل أن يعود لفرنسا على ظهر سفننا ، أما من يرغب فى البقاء فهو حر .. »

ساد الصمت .. من المبكر جدًا اتخاذ قرار كهذا ... يجب أن ينفردوا بعض الوقت ويسترجع كل منهم أحزانه وما بقى له هنا وما بقى فى الوطن ..

قال برتران :

ـ « شكرًا لك يا مسيو .. لكننا نفضل ألا نعطى إجابتنا الآن .. »

حفنة من الفرنسيين الذى وسع طموحهم العالم وظنوا أنهم أسياد الكون ، ثم تلقى غرورهم ضربة موجعة .. الآن هم أسرى يرجون النجاة من آسريهم .

لا يمكن أن ننفى أن البريطانيين يتصرفون كجنتلمانات لكن هذا اللطف يخفى الكثير من القسوة والحزم بالتأكيد .

كانت عبير تفكر .. ربما كان من الضرورى أن تبدأ باستبعاد البريطانيين من القصة ..



هكذا تقدمت من الضابط البريطانى وثنت ركبتيها فى رشاقة وقالت :

ـ « مسيو .. أكتب كتابًا عـن أيام الإمبراطور الأخيرة فى سانت هيلانة .. وقد رغبت فى معرفة وجهة النظر البريطانية فى هذا .. »

نظر لجمالها والتمعت عيناه .. بالتأكيد يرحب جدًا بعمل حوار مع حسناء كهذه ..

قال لها :

ـ « يمكنك أن تأتى معى للثكنات يا مدموازيل .. سوف أجيب عن كل أسئلتك .. »

* * *

10 - الطبـــاخ ؟

اسمه الميجور هتشنسون ..

له جذور أسكتلندية أكيدة .. وسيم نوعًا ويثرثر كثيرًا ..

كان مستندًا إلى المنضدة الخشبية يصب لنفسه الخمر ، بينما طلبت هى بعض الشاى .. كان مندهشًا من الفرنسية التى تحب الشاى ، فبالنسبة له كان الشاى مشروبًا بريطانيًّا ...

أخرجت عبير دفترًا وقلمًا من الرصاص .. والقلم الرصاص اختراع فرنسى لأحد علماء الحملة الفرنسية فى مصر بالمناسبة .. سألته :

ــ « لابد أنكم سعداء جدًّا بالخلاص من بونابرت .. »

جرع الكأس مرة واحدة وقال :

ــ « بالعكس .. ما مــن سجان يحب أن يموت السجين الذى فى عهدته .. مسئولية كبرى .. دعك من أن وفاته غير مفهومة وغير مبررة .. »

ــ « سرطان المعدة .. »

ــ « هذا ما قاله الطبيب الفرنسى .. ونحن لا نثق بأطبائكم الفرنسيين . إنهم حمقى .. على كل حال طبيبكم أنتو مارشى لم يوقع على تقرير التشريح .. هذا يعنى أنه غير متأكد من كلامه .. »

كانت هذه معلومات جديدة عليها ...

قالت فى حيرة :

ــ « معنى هذا ببساطة أن بريطانيا متهمة بالقتل .. »

هز رأسه وأنفه الذى بدأ يحمر .. كانت أنفاسه تتلاحق الآن نتيجة ارتفاع حمضية الدم ... أنه ثمل تمامًا وهذا يناسبها ..

قال لها :

ــ « بالفعل نحن متهمون .. لا شك فى هذا .. لكن المنطق يقول إنه من المستحيل أن نقتله . أولاً نحن المشتبه فيه رقم واحد .. ثانيًا كيف نصل له لنقتله ؟ إنه محاط بالفرنسيين .. حاشيته تعنى بطعامه وشرابه وهى التى تقدمه له .. أى سم سوف يقضى على عدد من المحيطين به كذلك . نحن لا نستطيع الوصول إلا عن طريق أحد الموثوق فيهم من حوله .. »

بدا لها هذا منطقيًا ..

هذا ينفى تهمة القتل لكنه لا ينفى القتل غير المباشر .. القتل عن طريق وسيط أو مرشح منشورى Manchurian Candidate .. كما يقول التعبير الغربى للدلالة على عميل تم غسل مخه ، أو ثمة من يحركه ..

انتهى الحوار فنهضت باسمة وشكرته ..

قال لها وهو يحك فمه بكمه كعادة السكارى :

ــ « تعالى فى أى وقت .. إننى رجل عسكرى أشعر بملل رهيب على هذه الجزيرة اللعينة .. لا شىء مثل أنثى حسناء ليبدد هذا الملل .. »

قالت فى غيظ :

ــ « أنت ستعالج مشكلتك بأنثى حسناء .. وأنا ؟ »

ــ « لا شىء مثل ضابط بريطانى وسيم يبدد هذا الملل .. »

ثم أعاد مسح فمه بكمه . تذكرت ما قرأته منذ زمن عن أن هذا سبب ابتكار أزرار الكمين فى ثياب الرجال . الإمبراطور فردريك كان يريد أن يمنع جنوده من مسح أفواههم بعد شرب

الجعة ، لذا ثبت لهم هذه الأزرار فى ستراتهم .. مسح الفم يشبه أن تمسح فمك بورقة صنفرة .

عادت عبير شاردة إلى معسكر الفرنسيين أو (الجيتو) المغلق الخاص بهم . ما زالت غير متأكدة .. لا تستطيع أن تنفى التهمة عن البريطانيين لكنهم الاحتمال الأخير ..

* * *

مر يومان وهى تقلب الاحتمالات فى ذهنها ، ثم خطرت لها فكرة ..

الطباخ . بيارون !..

وعندما جلس أشار لهم فى كبرياء بما معناه (استريحوا) .. ثم نظر إلى رجل بدين يضع مريولة حول خصره ويضع قلنسوة الطهاة على رأسه . خمنت عبير بذكاء أن هذا طاه . قال الإمبراطور :

ـ « كان الطعام شهيًا أيها المواطن بيارون ... صحيح أنك أكثرت من الفلفل لكنه لذيذ .. »

قال بيارون فى كبرياء وهو يشمخ برأسه :

ـ « الفلفل ضرورى لينشط الأمعاء فى هذا الطقس الحار يا سيدى الإمبراطور .. لكننا سنراعى ذلك فى الوجبة القادمة .. »

هذا إذن من الطهاة الفرنسيين شديدى الكبرياء الذين يشعرون بأنهم شعراء . حذار أن تنتقد طهى أحدهم وإلا طلب أن يبارزك بالسيف .

من سواه ؟.. هو قادر بسهولة على الوصول لطعام بونابرت ويستطيع تسميمه متى أراد .. لو كانت هذه قصة لأجاثا كريستى لشك بوارو منذ البداية فى أمر بيارون ..

مشكلة الزرنيخ هى أن الموت بطيء جدًا جدًا .. هكذا لا يمكن استعمال الحجة الشهيرة : أين كنت وقت الوفاة ؟.. كنت ألعب الورق أيها المفتش ولدى شهود .. لا شىء من هذا .. عملية مزمنة غامضة .. لو سألت لقلت : أين كنت فى الأشهر السبعة الماضية ؟ على سبيل المثال .

ثم ما موضوع الفلفل هذا ؟.. . سم الفئران يبدو لمن يتذوقه كأنه فلفـــل .. وماذا عن الزرنيخ ؟.. لم تقـــرأ عن مذاقه لكن

لنفرض أن مذاقه حـــاد ، أو أنهم يضعون الفلفل ليخفوا طعمه لو كان له طعم ..

اتجهت إلى المطبخ حيث كان الطهاة جالسين لا يطهون شيئًا .. الطاهيات دامعات يمخطن فوق الفاصوليا التى يقطعنها ، والرجال يقفون كاسفى البال ..

سألتهم فى قلق :

ــ « هل لن نأكل اليوم ؟ »

قال أحد الطهاة الشباب وهو يجفف دموعه :

ــ « لا أحد يملك القدرة على الطبخ يا آنسة .. منذ دفن الإمبراطور ونحن نتحامل لنؤدى واجبنا . لكن لا شك أننا سنعود للعمل حالاً .. هناك أفواه يجب أن تأكل .. »

البخار يتصاعد فى الجو فتوشك أن تختنق .. يبدو أنهم غلوا الماء كثيرًا ولم يضـــعوا فيـــه الخضر أو اللحـــم . على الأرض كميات هائلة من حزم المقدونس وقشور البصل .. كل شىء يدل على عمل هائل هنا ، فيما عدا أنه لا يوجد عمل .. لا يوجد (مزاج) ...

تقدمت إلى الداخل .. هناك رفوف عديدة تناثرت عليها التوابل . لا أحد يقف قربها .. فتحت علبة خشبية صغيرة وراحت تشم ما فيها .. لا تعرف أى يد انتزعت منها العلبة فى عصبية ..

رفعت عينها فرأت الشيف بيارون البدين يرمقها بعينين ناريتين ، وقال من بين أسنانه :

ــ « مدموازيل !.. أرجو ألا تعبثى بأى علبة تجدينها .. »

نظرت للعلبة فى يده بشك ، وقالت :

ــ « ما هذا بالضبط ؟.. ما خطره ؟ »

بدا عليه ارتباك واضح .. ثم قال :

ــ « بعض التوابل قوى جدًا بحيث لا يصح العبث فيه .. »

هل هذا هو السم ؟.. غالبًا لا ... لا أحد يحتفظ بسم الزرنيخ فى المطبخ وسط التوابل . لكن ربما كانت مخطئة وكانت محظوظة أكثر من اللازم .

شدت قامتها وقالت :

ــ « لابد أن الإمبراطور كان يحب طهيك جدًا .. لقد سمعته يطرى أطباقك .. »



نفخ الرجل أوداجه وبدا كبطة فخور ، وقال وقد احمر لغده :

ــ « هذا شىء طبيعى .. الإمبراطور لا يأكل إلا طعام طباخ الإمبراطور .. »

ــ « وهل كانت له أطباق خاصة به ؟ »

ــ « كان عسكريًّا .. لذا لم يكن يهتم بالطعام بشكل خاص .. أى شىء يصلح . لقد جرب الجوع والتهام الأفاعى فى جبال إيطاليا ، وأكل الدهن الضأن فى مصر .. لا مشكلة عنده . لكنى كنت أطبخ له وللحاشية .. ورجال الحاشية أكثر انتقاء فى طعامهم .. »

ــ « هذا يعنى أنك لم تكن تعد أطباقًا خاصة بالإمبراطور ؟ »

ــ « لا .. كنت أعد الطعام للجميع .. »

هذه كانت النقطة التى تريدها ..

لو دس هـــذا الرجــل السم للإمبراطــور ، فلن يضــمن أن يأكله وحده .. كنت ستجد جيشًا من الضباط والحاشية يفرغون مَعِدَهم .

أخرجت ورقة كتبت فيها أسماء المشتبه فيهم وشطبت اسم بيارون ..

إنه فظ مغرور . لكن لم نسمع عن إنسان اتهم بالقتل لأنه فظ مغرور .

* * *



11 - زوجـة منفيـة ..

من فعلها ؟

حقًا من فعلها ؟

عندما جلست إلى مائدة الطعام راحت ترمق الوجوه .. لو كان هذا فيلمًا لكانت الكاميرا تدور على الوجوه وتتوقف عند كل وجه للحظـة . الإمبراطور ليس هنـا . يشبه الأمر بيتًا غـاب عنه الأب .. لهذا ساد جو من الكآبة والصمت ، وبرغم أن وجوده كان مهيبًا رهيبًا مما يفرض نوعًا من النظام الشبيه بنظام المدارس ، فإن غيابه لم يقلل من الصمت والوجوم .. بل زادهما ..

الكل ينظر فى طبقه ويلوك الطعام .. الكل غارق فى خواطره ..

لاحظت عبير شيئًا غريبًا ..

العدد أقل مما يفترض .. عاودت النظر . ثمة شخص غائب . يشبه الأمر أن تفطن فجأة إلى أن هناك نوعًا من الضوضاء كان يملأ أذنيك ثم اختفى . عندها تشعر بدوار للحظة وطنين فى أذنك ..

من اختفى ؟.. مونتولون يأكل لكن زوجته لا تجلس جواره ..

التفتت إلى برتران الضابط المرافق بونابرت الجالس جوارها وقد ملأ فمه بالطعام ، وهمست :

ـ « أين مدام مونتولون ؟ »

قال بصوت كالفحيح :

ـ « ش ش .. لقد عادت لفرنسا .. »

غريب هذا .. عادت فى هذا الوقت بالذات وتركت زوجها ؟.. صحيح أنه عصبى ولا يطاق ولا يكف عن لعب دور الوغد لحظة ، لكن ليس هذا أفضل وقت تفارق فيه امرأة زوجها ..

لماذا رحلت ؟.. لماذا رحلت بعد موت الإمبراطور ؟..

هل أنهت مهمتها ؟.. ام هى تبتعد عن الشبهات ؟ هل المدام مشتبه فيها إذن ؟

* * *

جاءت مدام مونتولون الحسناء تطمئن عليه فأمسك بيدها فى امتنان وشغف ..

تنفس بعمق وبدا له أن العالم أروع مما يكون ..

* * *

وهى امــرأة جميلة فعــلاً لكنها ســمجة الظــل كالغربان .. لا يخفى على فطنة القارئ قوى الملاحظة أن يدرك أن المرأة تحمل بعض الحقد على عبير لأنها معجبة ببونابرت .. بل يقال إنها على علاقة به كذلك ...

* * *

بعـد الغــداء وقفت مع برتران الذى راح يتحسس بطنه فى رضًا ، شاعرًا بلذة الامتلاء ، لكنها أدركت كذلك أنه راغب فى بعض النميمة .. هو يعرف الكثير ويكره أن يعتقد الناس أنه لا يعرف الكثيــر . يحتاج بشدة إلى استعراض مواهبه وعلمه ببواطن الأمور ...

عادت تسأله فى كياسة :

ـــ « أنت لا تعرف طبعًا سر رحيل مدام مونتولون .. لا شك أن البيوت لها أسرارها .. »

كانت هذه هى العبارة التى داست على ذيل الشيطان بداخله . نقطة اللاعودة ، فهو لا يتحمل أن يقال إنه لا يعرف ..

صاح على الفور :

ـــ « بل أعرف لكن لا أجسر على الكلام .. »

ابتسمت عبير فى مشاكسة وقالت :



ــ « أعتقد أنك لا تعرف .. هذه أمور تحدث خلف أبواب مغلقة .. »

بعد صبر طويل ومقاومة لا بأس بها ، قال فى غموض وهو ينظر حوله :

ــ « إنها تحب الإمبراطور وقيل إن الشعور متبادل .. لما توفى الأخير صار يومها كله بكاء وعويلاً ... لا يوجد زوج فى العالم يتحمل أن تمضى زوجته اليوم تبكى عشيقها !... لهذا نفاها إلى الوطن .. قال إنه لا يريد أن يراها ثانية .. »

ثم أضاف على طريقة أم يحيى جارة عبير :

ــ « هذه أمور لا تعنينا .. للبيوت أسرار ! »

ظلت عبير بعض الوقت تفكر فى هذا الكلام ..

من الجلى إذن أن مدام مونتولون ليست متهمة .. لا أحد يقضى اليوم فى البكاء على من قتله ، ما لم يكن هستيريًا على شىء من الجنون أو ممثلاً يبالغ لإقناع الناس ببراءته ..

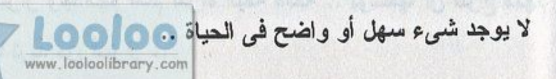
كانـــت قـــد أدركـــت بالفعـــل أن المـــدام تحـــب بونابرت وبجنون .. سمجة كالغربان قوية الشكيمة ، لهـــذا تبحث عمن يقهرها كعادة هؤلاء النسوة الشرسات .. ومن أفضل لقهرها من الإمبراطور ؟

المدام لم تتحمل وفاة حبيبها .. من ثم طردها زوجها لتعود لفرنسا .. هذا يجعل القصة منطقية .

تناولت الورقة التى كتبت فيها الأسماء وشطبت اسم مدام مونتولون ..

طريقة الاستبعاد جميلة دائمًا .. لكنك فى لحظة بعينها تغير مقاييس الاستبعاد .. وتعـــود تتفحص القائمة فتقول : لِمَ لا ؟.. ما الذى يمنع مـــن كذا ؟ هكذا تزيل الشـــطب عـــن أسماء كنت قد شطبتها من قبل .. فى النهاية تكتشف أنك غارق حتى الأذنين فى الألغاز ..

لا يوجد شىء سهل أو واضح فى الحياة ..



يجب أن تستجوب شخصًا آخر ..

ماذا عن جورجو ؟..

هذا الضابط العصبى ضيق الخلق ..

* * *

« جورجو غير متزوج .. لا توجد امرأة تتحمل عصبيته .. لهذا هو نافد الصبر عصبى .. أى أن عصبيته تنفر النساء فيزداد عصبية . وهو يكره هذه الجزيرة بجنون لأنه لا يجد ما يفعله .. كان محاربًا ممتازًا فيما سبق أما اليوم فهو أقرب إلى سكرتير .. »

* * *

من السهل أن نتخيل القاتل شخصًا ضيق الخلق نافد الصبر ..

فى البداية قررت أن تبدو أنيقة فاتنة . معظم الرجال يفرغون أسرار وجدانهم أمام امرأة أنيقة فاتنة .. بوسعها أن تنتزع منهم ما تريد من أسرار ..

اتجهت لخزانة الثياب وبحثت عن ثوب أنيق . إنها حسناء كما قلنا .. رقيقة هشة قابلة للكسر .. دعك من لكنتها البولندية التى تذيب القلوب .

لكـــن ... هنـــاك الكثيـــر مـــن الثيـــاب الجديـــدة التى لم تكن عنـــدها .. إنهم يعنـــون بهـــا حقًا .. ســـوف يكون هذا ممتعًا . جـــربت عـــدة أثـــواب ثم اختـــارت واحـــدًا . الجميـــل أن هناك مجمـــوعة ممتـــازة كذلك مـــن الثيـــاب الداخلية والأشـــياء المعقـــدة الشبيهة بالكورســـيه ، والمظـــلات التى كانت تلبسها نساء تلك الفترة تحت التنورات .. وقفت الوصيفة تراقبها وهى تلبس ثيابها ثم ربطت لها الأشرطة حول خصر الفستان ..

كانت عبير شاردة الذهن تفكر فى جورجو ... سوف يضعف بالتأكيد خاصة أنه غير متزوج ..



عليها إذن أن تقابل جورجو وتسأله .. هل دسست الزرنيخ للإمبراطور يا سيدى ؟؟؟ لم تفعل ؟.. جميل جدًا .. تصور أننى شككت فيك للحظة ..

جورجو الرهيب .. هناك وحش فى أفلام الرعب يحمل هذا الاسم .. على ما أذكر كان يخرج من تحت الأعماق على غرار جودزيلا ..

كان الضابط الأربعينى الأشيب واقفًا يصرخ فى بعض الجنود مصدرًا سلسلة لا تنتهى من الأوامر .. بدا لها شبيهًا بذلك الوحش فى أفلام المسوخ ..

دنت منه وتنحنحت طالبة لحظات من وقته ..

كانت تدرك سر عصبيته الشديدة .. عصبية الفراغ .. ليس لديه ما يفعله هنا سوى الشجار . عندما ابتعد معها قال لها وهو يركل التراب الأحمر الذى يميز الجزيرة :

ــ « روحى بلغت الحلقوم فعلاً .. لقد كان لدى التزام نحو الإمبراطور وقد انتهى .. لقد مات سيدى .. سوف أغادر هذه الجزيرة اللعينة إلى فرنسا .. »

ــ « لكن فرنسا لم تعد كما كانت .. »

ــ « وهذه الجزيرة لم تعد كما كانت .. »

ثم مشى بها إلى البيت .. ركل الباب ليفتحه واتجه إلى منضدة .. أراح حذاءه الغليظ عليها ثم مد يده لزجاجة نبيذ جرع منها جرعة هائلة .. ثم صب القليل فى كأس ..

قال فى شرود وهو يتأمل الكأس :

ــ « لقد تشاجرت مع كل شخص على ظهر هذه الجزيرة .. لم أعد أتحمل رؤية أحد ولا أحد يريد أن يرانى .. منذ جئت فى مارس وأنا فى هذه المشاكل .. كان الإمبراطور وقتها يمر بنوبته الرابعة من هذا المرض الغامض الذى أصابه والذى يقولون إنه قرحة المعدة .. هذا زاد من

تعقيد الأمور وجعله عصبيًا .. عندما يصير عصبيًا أصير عصبيًا بدورى .. أنت تعرفين هرم الإذلال .. كل طبقة تذل من تحتها .. وكان تحتى الكثيرون ممن يمكن أن أخرج عصبيتى عليهم .. »

توقفت عبير وقالت مرددة كلامه :

ـ « لحظة .. قلت إن الإمبراطور وقتها كان يمر بنوبته الرابعة ... »

هذا ما قاله فعلاً ...

يمكنها التأكد من التاريخ . لو كان دقيقًا فلا يمكن بحال أن يكون مسئولاً عن تسمم الإمبراطور . كانت الأعراض موجودة عندما جاء ولم تبدأ بعد مجيئه ..

هكذا أخرجت القائمة وشطبت اسم جورجو ..

سألها فى فضول عن هذا الذى تقوم به فابتسمت وقالت :

ـ « قائمة مشتروات .. كل واحد يملك واحدة ويشطب ما تم شراؤه .. »

ـ « وهل هناك سوق على هذه الجزيرة ؟ »

نظر لها بعض الوقت وترنح رأسه من السكر .. ثم غاب فى نعاس عميق .

* * *



12 - التسمم ..

القائمة تقصر ..

لقد حذفت الطباخ وزوجة مونتولون وجورجو .. وربما حذفت البريطانيين كذلك ..

كانت ترتجف ذعرًا من احتمال مخيف .. أن تنتهى القائمة دون أن تجد المشتبه فيه أو دون أن تشك فى أى واحد .. سيكون هذا قاسيًا فعلاً .

جلست فى غرفتها وكتبت رسالة تشرح فيها مخاوفها لدكتور (فورشوفود) .. هذه رسالة تعبر المسافات كما ترى .. إلى السويد كبلد .. وإلى القرن العشرين كزمن ..

بعد قليل جاءتها تعليمات (فورشوفود) .. كيف ؟.. لا أعرف طبعًا .. نحن فى فانتازيا لهذا كل التفسيرات ممكنة ..

كان الخطاب يقول :

« عزيزتى بيتى / ماريا :

« خطابك مهم فعلاً وأرى أنك قمت بعمل عظيم .. أهنئك .. لكنه جهد غير مكتمل وأنا لا أرى فى عيوب الناس كعيب القادرين على الكمال (كما يقول شاعر عربى) ..

« لابد من البحث وراء أكثر من خيط .. ماذا عن رئيس الخدم مارشان ؟.. أنت تعرفين أن رئيس الخدم هو القاتل دومًا فى روايات (من فعلها) البريطانية . هذا خيط يجب ألا تتركيه . ماذا عـن مونتولون ضـابط بونابرت المقـرب ؟.. لديه دافع مهم للقتل هو غيرته على زوجته . ماذا عن برتران الضابط الآخر ؟.. لماذا استبعدنا د أنتومارشى نفسه ؟.. لاحظى أنه من قام بالتشريح .. وأنه صاحب نظرية سرطان المعدة ؟

« أرى أنه لابد من استجواب هؤلاء جميعًا .. أنت تقتربين من الحل

بإخلاص فورشوفود



كأن هذا سهل .. سوف تجرى استجوابًا لكل هؤلاء .. وماذا بعد ؟.. ربما يكون القاتل غير موجود فى الكتاب أصلاً على الطريقــة البريطانيــة الســاخرة .. ربما قام بالجريمة مســيو (جان لافران) .. من هو ؟.. لا أعرف ...

وقفت على قبر بونابرت ترمق الفراشات التى تحوم على الورود .. ورود كثيرة ألقاها المحبون .. بعض هؤلاء مخادعون وقتلة . ركعت فى وضع القرفصاء وتخيلت الإمبراطور الراقد تحت الثرى يمد لها يده عبر التراب .. يقول لها لا تحزنى يا ماريا . فقط انتقمى لى .. أنا لا أعرف من قتلنى لكنى أشك كثيرًا فى انجلترا المخادعة الشريرة ..

فى اللحظة التالية خرجت يد الإمبراطور المتحللة من التربة لتقبض على معصمها ..

* * *

صرخت عبير فى هستيريا ..

صرخت . صرخت حتى بح صوتها . كانت تندهش من النساء الهستيريات اللاتى يملأن الدنيا عندما يرين فأرًا ، فإذا مشى على أقدامهن فقدن الوعى أو توقف قلبهن . لكنها مستعدة لفهم الموقف الآن وهى تشعر بيد إمبراطور ميت باردة تلتف حول معصمها ..

سرعان ما فقدت وعيها ..

ظلام .. ولا شىء سواه ..

... .

لا تدرى كم من وقت مر وهى فى تلك الغابة خلف الغيوم ، لكنها فتحت عينيها فأدركت أنها راقدة على فراش وأن هذا الرجل الذى يقيس نبضها هو د أنتو مارشى شخصيًا .. وأدركت أن بعض ضباط بونابرت يحيطون بها ..

حاولت النهوض لكن رأسها كان يدور بشدة ..



قال الطبيب مهدئًا وهو يقدم لها كأسًا به دواء ما :

ــ « اشربى .. اشربى .. لا بأس .. هذا العرض متوقع لفتاة تقف أمام قبر حبيبها .. »

شربت ومصمصت شفتيها ثم قالت :

ــ « أى عرض ؟.. لقد رأيت ما حدث فعلاً .. »

ــ « أى شىء حدث ؟ »

ــ « الإمبراطور أخرج يده من التربة وأمسك بمعصمى .. »

ابتسم وقال فى شفقة :

ــ « هل رأيت ؟.. هذا يدل على أن عقلك ليس على ما يرام .. إنها لوعة الفقد .. »

لكنها كانت تعرف أن هناك فارقًا بين الهستيريا وبين الهذيان .. لا يمكن أن يتهمها أحد بالهستيريا وإلا حطمت أنفه .. كانت تهذى . هى متأكدة من هذا ..

ولكن لماذا تهذى ؟

نهضت مـــن الفراش مترنحـــة فسقطت أرضًا لأن قدميها لم تطاوعاها .. تعاون الضباط على حملها للفراش ثانية ، وعاد الدكتور يصب أشياء فى حلقها ..

مرت أيام عليها فى هذا السقم ..

لكنها بدأت تدرك أشياء غريبة ..

هناك القيئ .. يحدث كثيرًا جدًّا وتوشك معه على أن تفرغ معدتها بالمعنى الحرفى . أى أن البواب والفؤاد سيخرجان من فمها .. سوف تتدلى المعدة من المرئ على صدرها ... الإسهال كذلك عرض مريب ، ومعه تلك التغيرات فى أظفار يدها ..

هناك طفح جلدى غير معتاد ...

يظهر ويختفى فى موجات متكررة ..

وماذا عن تورم قدميها ؟ تصحو من النوم كأن هناك كيسين من الماء فى قدميها ؟.. شكت إلى د /أنتومارشيه ذلك فأخذ عينة

بول فى أنبوب اختبار ، ثم قام بغليها .. النتيجة أن البول تحول لما يشبه بيضة مسلوقة .. هذا زلال كثير ..

ما معنى هذا ؟.. معناه أنها تفقد كليتها ببطء .. أضف لهذا الهلوسة التى رأتها على قبر الإمبراطور ..

هنا خطر لها خاطر مروع ..

هناك من يشك فى أمرها ، وهناك من يدس لها الزرنيخ كما حدث مع الإمبراطور .. !

* * *

13 - الترياق ..

فى الواقع تدهورت حالتها أكثر فأكثر ..

لم يعد لديها شك فى أن هناك من يسممها .. لكن من هو ؟.. على كل حال هى موقنة من أن البريطانيين صاروا خارج دائرة الاتهام .. كذلك زوجة مونتولون .. ثم عرفت أن الضابط جورجو غادر الجزيرة منذ فترة طويلة ، وهذا يعنى أنها مرضت بعد رحيله . شخص آخر يثبت براءته .. هناك ثلاثة أطراف بريئة على الأرجح ..

صارت أيامها سوداء ولياليها قاتمة ..

هنك غشاوة على عينيها .. وقدماها تتورمان أكثر فأكثر ..

المشكلة الألعن هى التهاب الأعصاب الطرفية .. هناك تنميل شديد فى قدميها وكفيها مع فقدان شعور .. يمكن أن تلمس النار فلا تشعر ... وأحيانًا لا تعرف أنها كانت تلبس حذاء أم حافية القدمين ..

امتنعت عن الطعام تقريبًا .. أو حاولت أن تخلط طعامها بما يأكله الآخرون أو أن تبدل طبقها .. لكن هذا لم يجعلها أفضل ..

قالت لأنتومارشى إنها مصابة بتسمم زرنيخ فضحك كثيرًا :

ــ « أنت هنا بين محبى الإمبراطور .. أخلص مواطنى فرنسا .. كيف يجرؤ واحد على أن يؤذيك ؟ »

بالطبع هناك من يسممها بشدة .. لا شك فى هذا ، وبالتأكيد من يسممها هو أكثر الناس بكاء وتأثرًا لرحيل الإمبراطور ... هكذا تسير الحياة طيلة الوقت ...

قالت فى سخرية :

ــ « هل تعتقد أننى مصابة بسرطان المعدة ؟ »

فكر بجدية فى الأمر ثم قال دون أن تهتز ملامحه ، أو يوحى بأنه فهم الدعابة :

ــ « لا أرى هذا فأنت تزدادين بدانة !! »

لم تعلق وكتمت الشتائم التى تمنت لو توجهها له .. وأدركت أنها على الأرجح لن تعيش حتى تستكمل التحقيق .. القاتل يجيد عمله فعلاً ..

* * *

كانت راقدة فى الفراش وسط الهلاوس والعرق ، وهى ترمق الشمعة المتراقصة .. كأنها ترمق خيط حياتها ذاته .. إنها فى مأزق فعلاً .. لو ماتت فى فانتازيا فسوف تموت فى عالم الواقع على الأرجح .. الإنذار الذى تلقته منذ تجربتها الأولى .. الآن هى تجربه على الطبيعة ..

كان العرق يغمرها كما أن التهاب الأعصاب كان يعذبها ..

سمعت من يتحرك فى الغرفة .. هل هو القاتل جاء ينهى مهمته بشكل أسرع ؟.. لا بأس .. سيكون هذا أفضل ... ربما كان أكثر رحمة ...

ثم سمعت الصوت المألوف . صوت التك تتك تك تتك .. هذا قلم ذو زنبرك ..

رفعت عينها إلى المرشد بقلمه المعتاد .. كان قادمًا عبر الظلال فى تؤدة ، وهذه المرة كان يحمل محقنًا فى يده الأخرى وزجاجة دواء صغيرة ..

ــ « هل جئت لتنهى حياتى يا مرشد ؟ »

جلس جوارها على الفراش وقال بطريقته الباردة :

ــ « تمنيت هذا .. لكن هذا ليس عملى للأسف ، دعك من أن موتى يعنى أن أذهب للعدم فأنا من بنات أفكارك لو كان لى أن أقول هذا .. لقد جئتك بالــ BAL أو عقار دايمركابرول .. »

ثم ضحك ضحكة سمجة وقال :

ــ « لاحظى أن هذه معاملة لا يلقاها سواك .. هذا اكتشاف لم يوجد بعد .. أمام البشرية مئة عام على الأقل كى تجده لكنى أقدمه لك برضا نفس .. لم يظفر بهذه المعاملة سوى تشرشل الذى أصيب بالتهاب رئوى أثناء الحرب فعالجوه بالبنسلين قبل أن يصير متاحًا عالميًا .. »

ــ « ما هو هذا الــ BAL ؟ »

ــ « الترياق المناسب ضد الزرنيخ كما أنه يستعمل مع تسمم الفلزات الثقيلة . الاسم اختصار لعبارة (المضاد البريطانى لغاز الليفيزايت) ... الليفيزايت هو غاز سام كان الألمان يملكونه وكان كثيرون يعتقدون أن هتلر سوف يستعمله فى الحرب ، لذا اخترع البريطانيون هذه المادة .. (دايمركابرول) .. وهى مادة مفيدة جدًا فى علم السموم .. »

ثم لوح بالمحقن :

ـ « العــلاج يستمر 11 يومًا تقريبًا . حقنتان فى اليــوم . نعطيها فى العضل .. »

شمرت ذراعها وكشفت عن العضلة ثنائية الرأس ، فقال :

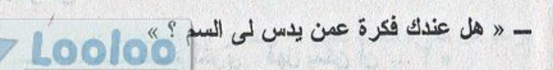
ـ « لا .. العضل الآخر يا ماما !.. إرفعى ثوبك .. »

آ ى ى ى ى !

كانت الحقنة مؤلمة جدًا وأدركت أنها ستعرج لفترة لا بأس بها .. تذكرت كل كوابيس الطفولة عندما تقتحم الفصل تلك الشخصية البغيضة : ممرضة المدرسة ، وهى تحمل المحاقن والعقار .. رائحة الكحول وتصاعد أصوات البكاء والعويل للتلاميذ الذين هم مجبرون على تلقى اللقاح .. مشهد إعدام جماعى شديد القسوة .. نفس المشاعر والخوف .. بعض التلاميذ كان يختفى تحت المنضدة آملاً ألا يراه أحد .. بالطبع لم يكن أحد يهرب ..

لما انتهى الألم أو خف ، قالت له وهى تدعك ردفها ليزول الألم :

ـ « هل عندك فكرة عمن يدس لى السم ؟ »



ـ « لا .. والأهم هو أننى لست واثقًا من أنك مصابة بتسمم .. دعك من أننى لست واثقًا من موضوع السم الذى قتل الإمبراطور أصلاً ... هناك دراسات اتهمت ورق الحائط الذى يملأ هذا القصر بأنه يطلق أبخرة الزرنيخ .. هذا سبب تسمم الإمبراطور . مجرد خطأ بيئى بسيط .. »

هتفت فى دهشة :

ـ « هل تمزح ؟.. قصة قاتل الزرنيخ هذه خرافة ؟ »

قال فى حيادية :

ـ « قلت إن هذه إحدى النظريات الشائعة حاليًا .. ولا يمكن إثباتها إلا إذا بحثت عن الزرنيخ فى أنسجة كل من كانوا فى البيت مع بونابرت .. لو كان خطرًا بيئيًا فقد تلقاه الجميع ، وهنا يبرز سؤال : لماذا بونابرت بالذات هو من ظهرت لديه الأعراض ؟ .. »

ـ « أنا حالة تسمم أخرى . فهل يمكن أن ... ؟ »

ـ « قلت لك إننى متعادل .. لست واثقًا من شىء .. هناك كذلك من يتهمون بعض الأدوية التى كان الإمبراطور يتعاطاها . هناك أدوية كثيرة فى علم الصيدلة تحوى الزرنيخ .. لابد من رج الزجاجة جيدًا قبل الاستعمال وإلا وجد المريض جرعة عالية جدًا فى نهايتها .. هذه من أسباب التسمم الشائعة .. »

ثم أضاف بعد تفكير :

ـ « لاحظى أنك حذرة فى طعامك .. لكن حالة التسمم مستمرة .. لو كان هناك من يسممك فأنا شغوف بمعرفة كيف يدس السم لك .. يبدو أنه بارع فعلاً ... »

هذا صحيح .. توشك ألا تأكل شيئًا أو هى حذرة جدًّا فيما تأكل ، وتبدل طبقها عدة مرات . فكيف ؟

كان المرشد جالسًا وقد وضع ساقًا على ساق وعقد ذراعيه على صدره كأنه فى ندوة .. مفرود القامة بادى الثقة بالنفس .. أقرب للسماجة لو تجسدت فى صورة شخص ...

برغم كل شىء كانت تميل له وتشعر أن غيابه مرعب ..

نهضت من الفراش ولملمت ثيابها وودعته .. سوف تخرج لتمارس مهنة المحقق البوليسى من جديد ، برغم أنه من الوارد أن تكون مخطئة من البداية ..

إن رأسها يوشك على الانفجار مما فيه من أسئلة بلا جواب ...

* * *

14 - شعر وحساء ..

فى القصص البوليسية البريطانية يكون القاتل هو رئيس الخدم دائمًا .. حتى لو لم يكن هناك خدم فى القصة .. حتى لو كان القتيل متسولاً على الرصيف ، فهناك رئيس الخدم ..

ماذا عن رئيس الخدم هنا ؟ مارشان شديد الغرور والكبرياء ..

هل هو من المشتبه فيهم ؟

* * *

ثم إن الإمبراطور التفت إلى رجل له ياقة عالية وشديد الغرور بدوره وقال :

ـ « المواطن مارشان .. أرجو أن تجلب لنا بعض النبيذ .. »

* * *



هذا مهم .. رئيس الخدم يجلب للإمبراطور النبيذ .. يجلب له الفاكهة .. تعامله مع الإمبراطور حميم جدًا .. لو أن شخصًا يستطيع أن يضع السم للإمبراطور فهو رئيس الخدم طبعًا ...

هكذا اتجهت إلى جناح البيت الذى يضم الخدم ..

الحقيقة أن البيت كان يتحول إلى خراب مع الوقت .. الفوضى تضرب أطنابها وكل شىء يتلف .. مدام مونتولون كانت تتعامل مع البيت كأنه بيتها وتراقب كل شىء ، فلما رحلت تحول المكان إلى قبيلة بلا زعيم ..

هناك كان مارشان يقف موجهًا اللوم لوصيفتين لا تقومان بعملهما كما ينبغى ، حسب ما فهمته عبير ..

فلما رآها انحنى انحناءة سريعة .. حتى تحياته كانت أكثر احترامًا ولطفًا عندما كان بونابرت حيًّا ، أما اليوم ففيها قدر ما من الوقاحة ..

ــ « مدام .. »

صحيح .. تنسى أنها متزوجة .. وأنها بولندية حسناء ...

كانت تعرف أنه منفذ وصية بونابرت والأمين على أسراره ، لذا قالت له :

ــ « مسـيو .. كيف تنـوى أن تنقل رفات الإمبراطور إلى الوطن ؟.. أنت تعرف أنه أوصى أن يدفن قرب السين .. »

قال فى قرف :

ــ « البريطانيون يرفضون .. هذه قضية سياسية لابد من أن تقضى فيها الدول .. أنا أقول وصية الإمبراطور لكنى لا أملك قدرة على تنفيذها .. »

ثم رفع إصبعه كمن تذكر شيئًا وقال :

ــ « هناك شىء صغير .. أرجو أن تتبعينى .. »

ومشى ومشيت معه إلى رواق طويل .. مضى يمشى حتى بلغ غرفة جانبية مغلقة فتحها ودلف للداخل . هل هذه غرفته ؟.. ربما .. وقفت تنتظر بعض الوقت ، ثم عاد وهو يحمل صندوقًا خشبيًا صغيرًا .. فتحه فى حذر وأخرج شيئًا ..

وضعته فى كفهـا وتأملته .. خصلة شـعر مربوطـة بشريط حريرى .. ما معنى هذا ؟

قال بطريقته المتكبرة :

ـ « لن تأخذى الخصلة كلها .. سوف أعطيك ست شعرات .. »

فى غيظ قالت :

ـ « هذا جميل .. أنت تعرف حبى للشَعر ، لكن أى شعر هذا ؟.. »

ـ « شعر الإمبراطور طبعًا .. من سواه ؟.. لقد احتفظت بخصلات منه للذكرى .. »

ناولها أربع شعرات فشعرت بقشعريرة .. هى لا تحب شعر الموتى كما لا بد أنك تفهم ، دعك من أن هذه ليست حلوى يتم تقاسمها ..

على كل حال فتحت قلادتها .. كل نساء هذه الفترة لديهن قلائد تنفتح ، فوضعت الشعرات فيها .. سوف تنقل الخصلة التى معه الشعرات إلى الأحفاد ، فلابد أن واحدًا منهم هو الذى أرسل الشعر لفورشوفود بعد مئة عام . وهذا يعنى أن رئيس الخدم ساهم بشكل ما فى إثبات الجريمة .. لكن فى ذلك العصر لم يكن

هناك من يقدر على البحث عن زرنيخ فى الشعر أو الأظفار ، فهو لا يشعر بالخطر ..

لكن هل هو من ارتكب هذا فعلاً ؟

سألته فى حذر :

ــ « لابد أنك كنت مخلصًا للإمبراطور وموضع ثقته . هل كانت لديه عادات غذائية معينة ؟.. ربما كانت هى سبب إصابته بسرطان المعدة .. »

أغلق الباب المفتوح وقال مغضبًا :

ــ « كيف لى أن أعرف ؟.. أنا رئيس خدم ولا علاقة لى بطعامه أو شرابه .. »

ــ « ولا شرابه ؟ »

ــ « ظننت هذا مفهومًا .. »

نظرت حولها ثم بصوت كالفحيح سألته :

ــ « لكنه طلب منك بعض النبيذ أمامى ؟ »

ــ « لا أجلب النبيذ بنفسى .. أقدمه فقط .. هناك فارق .. »

نظرت لعينيه وقالت لنفسها : هذا الرجل مخلص .. كل شىء يقول إنه مخلص صادق .. الحقيقة كائن حى يمكن رؤيته يتحرك خلف حدقة عين الصادقين ، بينما تظل حدقات الكاذبين معتمة خاوية ..

كان هذا أغرب اختبار للكذب فى التاريخ ، لكنه بالنسبة لها كاف ..

عندما ابتعد الرجل أخرجت القائمة وبيد راجفة شطبت اسم (مارشان) ..

عادت لمخدعها شاردة .. كان موعد العشاء يقترب ، وهى على كل حال صارت تخشى أن تأكل هنا .. ربما تأخذ بعض الثمار من طبق عام يأكل منه الجميع ، أو تنتقى من (سرفيس) جماعى .. لكنها لا تأكل أبدًا من طبق وضع أمامها أو كأس أفعم لها ..

غيرت ثيابها .. فتحت خزانة الثياب تبحث عن قطعة ثياب معينة .. قطعة أنثوية حميمة لن أذكر اسمها لو سمحت لى .. هنا لم تجدها .. فتشت بعناية . هى لم تضعها فى الغسيل ولم تعطها للوصيفة ..

شىء مستفز فعلاً ... كل شىء يختفى هنا على هذه الجزيرة الغبراء ..

نادت الوصيفة لتسألها أين ذهبت هذه القطعة ، فشحب وجه الفتاة البلهاء .. هى لا تعرف ولا تفهم ولا تجد مبررًا ولا تشك و.... كفى !!!

لعنت الغباء وتركت الفتاة ترحل غير مأجورة ..

ما علينا .. سوف تذهب إلى العشاء ، وعندما ينتهى سوف تفحص أمر مونتولون .. أنه جدير بالشكوك بسبب علاقة زوجته بالإمبراطور .. هذا مشتبه لا بأس به ..

دخلت إلى القاعة الكئيبة التى تنيـرها الشموع .. عدد الطاعمين يقل بشكل ملحوظ .. لم يعـد هنـاك هـذا الصخب القـديم المحـيط بالأب (بونابرت) ... صـاروا أطفالاً سخفاء بلا كبير ..

بحثت حتى وجدت مونتولون .. الضابط الوسيم القوى الذى هجر زوجته ..



كان جالسًا يلتهم بعض الجبن فحيته برأسها .. نظر لها فى شيء من دهشة ثم حياها برشاقة ، وبفروسية نهض ليقدم لها مقعدًا .

وضع النادل أمامها طبقًا من الحساء وكانت تعرف طبعًا أنها لن تمسه ..

لما مر حاملاً طبقًا به بعض المعجنات يمر بها على الجميع أمكنها أن تنتقى قطعتين ..

الأكل الجماعى .. هذه هى القاعدة ..

الآن يجب أن تتفرغ لجارها .. كيف تبدأ ؟.. ليت الحياة أكثر سهولة .. فى عالم مثالى يمكنك أن تسأل جارك : مساء الخير يا مسيو .. هل أنت من دس الزرنيخ للإمبراطور ؟ لكن هذا ليس عالمًا مثاليًا للأسف ..

* * *

15 - دوامة شكوك ..

لم يؤد الحوار لنتيجة ما .. دعك من أنه ليس من النوع الذى يحب الخمر ويثمل فتنحل عقدة لسانه .. يبدو أن للخمر نفعًا واحدًا هو أنك تستطيع بسهولة استجواب شاربها .. أى أنها تلعب دور بنتوثال الصوديوم فى عصرنا هذا ..

تذكرت فقط عبارة الإمبراطور كاملة :

ـ « المواطن مارشان .. أرجـو أن تجلب لنـا بعض النبيذ . خذ المفتاح من الضابط مونتولون .. »

لماذا نسيت باقى العبارة وشكت فى مارشان فقط ؟

إذن الضابط مونتولون كان قادرًا على الوصول إلى الخمور .. بإمكانه أن يدس فيها ما يريد . وبالطبع للإمبراطور أنواع معينة فاخرة .. يمكن بسهولة انتقاء الزجاجة الأنسب ..

ترى هل أنت الفاعل إذن ؟

كيف للمرء أن يثبت ؟



سألته وهى تلتهم بعض المحار :

ـ « هل كان الإمبراطور يفضل نوعًا معينًا من النبيذ ؟ »

نظر لها بعض الوقت كأنه يتساءل عن سبب تذكرها لهذا الموضوع ، ثم قال فى حياد :

ـ « كان يفضل الأنواع المعتقة .. أنا لا أفهم أنواع النبيذ لذا كنت أعهد بهذا لبرتران صاحبى .. إنه ذواقة حقيقى .. »

شعرت برأسها يدور .. إذن هو خارج دائرة الشكوك .. هل برتران هو الفاعل ؟..

تذكرت أغنية شعبية قديمة : » هنـا بنت حجازيـة .. شعرها ضانى ضانى .. لفيتـو علـى حصانى ..

وحصانى فى الخزانة .. والخـزانة عايـزة سـلم

والسّـلّم عند النجـار .. والنجـار عايز مسـمار

والمسمار عند الحداد .. والحـداد عايـز بيضـة

والبيضـة عنـد الفـرخة

نفس الدوامة اللولبية العجيبة التى لا خلاص منها .. شك يقود لشك يقود لدليل .. ثم دليل يقود لشك ثم شك آخر ..

قال لها :

ـ « ألاحظ أنك لا تأكلين تقريبًا .. هل من سبب ؟ »

التسمم بالزرنيخ سبب كاف لكنها لم تقل هذا طبعًا ..

قالت فى رقة :

ـ « ليست معدتى على ما يرام .. »

ـ « احترسى .. يبدو أن جو هذه الجزيرة مسموم .. الإمبراطور لم يتحمله .. »

وشعرت بنغمة ساخرة خفية فى كلامه ، كأنه يتعمد أن يفزعها . طريقة طفولية نوعًا ...

انتهى الطعام فحيته فى رشاقة .. وغادرت المكان عائدة إلى مخدعها ..

سوف تستكمل تحرياتها مع د / أنتو مارشيه ..

الطبيب الذى كان يعالج بونابرت .. الطبيب الذى شرح الجثة وقال إنها مصابة بسرطان معدة . من أقدر منه على الخداع وتسميم بونابرت ؟ ربما كان يعطيه الزرنيخ وهو يزعم أن هذا

علاجه ضد الأعراض المخيفة التى يمر بها .. أقدر الأشخاص على قتل المريض هو طبيبه ..

* * *

ــ « أنت هنا بين محبى الإمبراطور .. أخلص مواطنى فرنسا .. كيف يجرؤ واحد على أن يؤذيك ؟ »

ــ « لا أرى هذا فأنت تزدادين بدانة !! »

ــ .. « نحن لا نفتح سمكة رنجة يا مسيو .. هذا إمبراطور فرنسا .. »

ــ « .. لماذا استبعدنا أنتومارشى نفسه ؟.. لاحظى أنه من قام بالتشريح .. وأنه صاحب نظرية سرطان المعدة ؟ »

* * *

كان د / أنتو مارشيه فى الصباح منهمكًا فى جراحة صعبة ..

هناك جندى قد أصيب بالتهاب الزائدة الدودية ، لهذا جثم فوقه خمسة جنود ليقيدوا أطرافه ، بينما تعرى الطبيب تقريبًا حتى

يتحاشى مجزرة الدم القادمة .. وبالطبع كانت الجراحة فى مخزن عتيق ، تمت إضاءته بمصابيح واهنة ..

شق بطن الجندى بينما الأخير يطلق الصراخ بلا توقف . يبدو أن الأثير اختراع د. (مورتون) لم يصل هنا بعد .. وفى ذلك الوقت كان من ضمن طقوس رجولة الجندى أن يتحمل جراحة شنيعة كهذه ..

ـ « اصمد ! »

ـ « أوشكنا على الانتهاء ! »

ـ « لا داعى للعض .. لو عضضتنى فلسوف ألتهم أذنك ! »

صرخ الجندى :

ـ « تيت دو ميرد !.. لا أريد جراحة !.. أريد أن أموت بالزائدة ! »

ـ « هـذا ليس من حقـك .. الجندى لا يقـرر متى يمـوت أو يعيش .. »

طبعًا لا يوجد تعقيم والجراحة تتم بيدين عاريتين لأن لستر العظيم لم يخترع قفازى الجراحة بعد . باختصار كانت مجزرة .. كأنها عملية ذبح ثور برى غير مقيد ...

قالت فى كياسة :

ــ « يمكن أن أمر عليك فى وقت آخر يا دوكتيور ! »

ليس هناك خطأ فى كتابة كلمة (دوكتيور) لكننا نحاكى النطق الفرنسى .. قال لها الطبيب وهو يكافح بأنامله حتى يوسع الجرح :

ــ « لا مشكلة .. تفضلى بالكلام يا مدام .. إنها جراحة زائدة عادية .. »

ــ « هل هذا هو الروتين إذن ؟ »

ــ « جراحات أورام المخ تكون أعنف عادة لأننا نهشم جمجمة المريض بالمطرقة أولاً .. أرجو أن توجهى سؤاااا ... . »

آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآآه !

كان هذا هو المريض الذى أطاح بجنديين من فوقه ، وغرس مخالبه فى عنق الثالث .. وتمسك الجنديان الأخيران بساقيه ، بينما صاح الطبيب :

ــ « يا لك من مدلل !.. تتصرف كالأطفال ! »

لم تر عبير شيئًا من تصرفات الأطفـــال فى ثورة رجـــل يجد مصرانه الأعور بين أنامل طبيب ، وهو ما زال مستفيقًا !..

دكتور مورتون العظيم .. أين أنت . ؟؟؟

قالت عبير وهى تحاول تفادى النظر للجرح والرجل الصارخ :

ــ « كنت أزور قبر الإمبراطور عندما خطر لى أن أكتب دراسة عن معاناته .. هل تذكر متى بدأت أعراض ذلك السقم المخيف ؟ »

تلقى لكمة فى ذقنه من الجندى فوجه له لكمة مماثلة انتقامًا .. بدا أن الجندى فقد الوعى ، وكانت هذه فرصة ممتازة كى يواصل فتح طبقات العضلات .. ثم قال لها :

ــ « لا أعرف .. أنا جئت الجزيرة بينما الأعراض مستمرة .. وقيل لى إنها بدأت منذ أشهر ! »

هنا اتسعت عيناها :

ــ « أى أنت لم تكن فى الجزيرة منذ البداية ؟.. »

ــ « بالطبع لا .. لقد سألوا عن شخص يتطوع بأن يُنفى هنا مع الإمبراطور فقبلت .. »

هــذا يغيــر كــل شىء إذن .. الرجل جاء بعد ما بدأت الأعراض .. الواقع أنه جــاء بعد قص خصلة الشــعر التى لدى د . (فورشوفود) .. هذا يخرجه من دائرة الاشتباه تمامًا ..

سوف تشطب هذا الاسم ..

هنا صرخ الطبيب فى فرح :

ــ « وجدت الزائــدة الدودية !.. لا تتركــوا هذا الشيطان التعس .. ! »

وارتمى وسط سيقان الجنود يمسك بالزائدة قبل أن تهرب وراح يحاول قطعها ، بينما الجندى الفرنسى يطلق السباب ...

كادت تنصرف لولا أن سألها الطبيب ساخرًا وهو على الأرض وسط بركة من الدم :

ـ « هل تحسنت من التسمم ؟ »

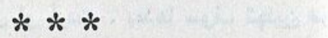
قالت فى برود :

ـ « نعم .. »

ـ « قلت لك هذا .. كنت تتوهمين أعراض التسمم ... بينى وبينك كل النساء فى العالم يعشن هاجس أن هناك من يدس لهن السم .. هل تريدين رأيى ؟.. أعتقد أنهن يرتبن فى ذلك لأن لديهن استعدادًا مطلقًا لدس السم للناس .. الخائن يرى الخيانة من حوله .. »

هزت رأسها موافقة وابتعدت بينما الصراخ والسباب يدوى من الجندى ...

ـ « أننى أموت !... فيف لا فرانس !! »



16 - أنت الفاعل ..

تكلم يا مسيو برتران ..

أنت الضابط المخلص الذى كان بونابرت يثق به ..

للأسف أنت آخر واحد فى قائمة المشتبه فيهم الذين تم استبعادهم ، وهذا يجعلك متهمًا مهما كان كلامك أو تبريرك ..

لم تهاجمه بهذا الشكل طبعًا ، لكنها حاصرته بأسئلة كثيرة حتى أنه صار عصبيًا ..

كان منهمكًا فى التفتيش عن سلاح الجنود الذين تحت إمرته ، لهذا لم يكن لديه وقت يسمح بأن يرى فضولها ..

قال لها فى ضيق :

ــ « هناك سفينة سوف تقلع بعد ساعات عائدة للوطن .. يمكنك أن تستعدى للرحيل لو أردت . بعدها سوف تجدين من ينقلك إلى بولندا .. »

لم تكن مهتمة بالعودة الآن .. كانت تريد أولاً التأكد من شكوكها ..

قالت له بلا مناسبة :

ـ « كنت أنت من ينتقى الخمور للإمبراطور .. »

نظر لها محاولاً فهم ما تريد قوله ، ثم أصدر أوامره للجنود بأن يتحركوا .. وقفوا مؤدين له التحية ودقوا الأرض بكعوب البنادق ، ثم ابتعدوا بخطواتهم العسكرية ..

أجابها فى نفاد صبر :

ـ « لا أعرف السبب وراء هذا السؤال .. لكنى خبير فى الخمور ، وأجيد انتقاءها . كان الإمبراطور يكلفنى بهذا العمل .. لكن لا علاقة لى بمخزن الخمور .. فقط كنت أطلب النوع الذى يحتاج له الإمبراطور .. »

ثم أضاف وهو يبتسم :

ـ « المفتاح مع الضابط مونتولون .. أنا لا أملك نسخة منه .. »

كانت عبير تنظر له مفكرة .. هل هو يكذب ؟ أحد الرجلين يكذب ... برتران أو مونتولون . هذا يحصر المتهم بينهما كما هو واضح ..

يجب أن تدخل مخزن الخمور بأى طريقة ...

* * *

الظلام وضوء الشمعة المتراقص ...

العتلة والقفل على الباب ..

لن يكون الأمر صعبًا .. هذا مخزن خمور وليست خزانة مصرف . أى أن أى قفل يصلح .. هكذا دست العتلة فى المزلاج وضغطت ... قليل من الجهد لكنه كاف جدًا ...

انفتح المخزن ...

قبو مظلم رطب .. وعلى الناحيتين هناك براميل مفعمة .. وهناك صفوف من الزجاجات السود الموضوعة فى قش ... السقف على شكل أقواس ورطب جدًا ، حتى أن قطرات ماء تسقط من أعلى ..

راحت تفتش بين الزجاجات .. لو كان هناك زرنيخ هنا فهو بالتـــأكيد فى زجاجة مـــن تلك ... لكن كيف تجدها ؟.. هناك فتاحة .. هناك قمع .. إذن هناك من يفتح الزجاجات ويعيد تعبئتها أو يضيف لها شيئًا ما ...

اصطدمت بشيء على الأرض .. شيء يشبه دلوًا صغيرًا ..

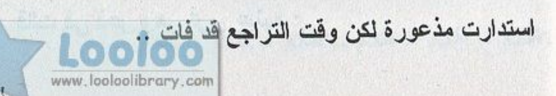
انحنت بالشمعة تتفحص هذا الشيء .. إنه يخصها ..

قطعة الثياب الحميمة التى اختفت من مخدعها .. إنها هنا بالذات . هناك من سرقها . هذا السائل الذى نقعت فيه . يمكنها أن تشم رائحة غريبة .. القصة واضحة . الوصيفة تتقاضى مالاً كى تسرق ثيابها .. هناك من ينقع هذه الثياب فى محلول به مادة سامة . على الأرجح هى الزرنيخ . هى لا تأكل شيئًا وحدها ، ولا تشرب خمرًا ولا تتعاطى عقارًا ما . إذن هناك طريقة واحدة لتسميمها هى بثيابها ... هكذا دخلت فى حالة تسمم كادت تفتك بها لولا المضاد البريطانى لمادة الليفيزايت BAL ... يبدو أن الفاعل لم يرق له أنها لم تمت بعد لذا طلب من الوصيفة أن تأتيه بقطعة ثياب داخلية ليضمن أن تلتصق بجسد عبير ..

من الذى فعل هذا ؟

سمعت صوت الباب ينفتح ..

استدارت مذعورة لكن وقت التراجع قد فات ..



الباب مفتوح وقد تم اغتصابه ، وهناك شموع مضاءة .. لا وقت لإخفاء هذا كله ..

أما من دخل فقد كان مونتولون طبعًا ..

لشد ما صار مخيفًا شرس النظرات .. عندما رأت وجهه أدركت على الفور أنه هو القاتل بلا شك ..

كان يملك الهدف .. وكانت زوجته تخونه مع الإمبراطور ، لكن هذه ليست جريمة غيرة .. بالواقع كان من عناصر قوة الرجل فى ذلك الوقت أن تكون لزوجته علاقة مع الإمبراطور . لا شك أنه ارتكب جريمته لأن البوربون قدموا له مبلغًا ضخمًا من المال .

كان البوربون يمثلون الملكية التى قامت ضدها الثورة ، وقد فروا من فرنسا بعد الثورة ثم عادوا لها من جديد ليمارسوا كامل سلطتهم . إنهم أقرب شىء للفلول فى ثقافتنا المصرية . الآن استرد الفلول سلطتهم وصارت فرنسا لهم .. يجب ألا يعود بونابرت بأى ثمن ..

قالت فى ذعر وهى ترى عينيه :

ـ « هذه قطعة من ثيابى ! »

أمسك بالعتلة الثقيلة التى فتحت بها الباب وقال :

ـ « لقد قمت بتشبيع ثيابك كلها بمحلول سام ، ولا أدرى كيف ظللت حية حتى اليوم .. كنت أتوقع أن يقودك البحث لمعرفة الحقيقة .. أما الآن فلن يجدك أحـــد ... إن السفينة ستتحرك بعد دقائق .. سأعود إلى الوطن وأنت سوف تتعفنين هنا . .. »

قالت وهى تتراجع أكثر :

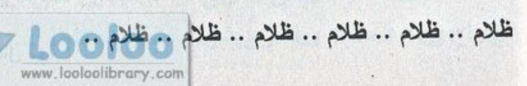
ـ « البوربون قد رشوك لتقتل الإمبراطور .. ! »

ـ « أنت تجيدين الاستنتاج .. لكن لا وقـــت عنـــدى للرد للأسف .. يجب أن ألحق بالسفينة .. »

وهوى على رأسها بالعتلة ..

كان هذا كافيًا كى يسود العالم كله ، ولم تعد تعرف أين هى ولا ماذا تفعل ..

ظلام .. ظلام .. ظلام .. ظلام .. ظلام ..



ظلام .. ظلام ..

ظلام .. ظلام ..

ظلام .. ظلام ..

عندما فتحت عينها كان لعابها صمغيًا جافًا ، وكان الظلام سائدًا ... وكان رأسها يدق من فرط الصداع كأنه جرس كنيسة عملاق تم دقه ، وراح يهتز بفعل موجات الرنين ...

رنانات هلمهولتز .. متى قرأت هذا الموضوع فى دروس الطبيعة ؟

حاولت أن تنهض لكن كل عظمة كانت تؤلمها ..

إنها سجينة هنا .. لا شك فى هذا ...

مونتولون هو القاتل يا دكتور فورشوفود . لقد اعترف بذلك .. لكن كيف أخبرك بذلك ؟

سمعت صوت القلم يتكتك فى الظلام ، ثم رأت المرشد واقفًا جوارها ..

قال لها :

ــ « لقد أوذيت كثيرًا .. لكنى جئت لأخلصك ... تك تتك تك .. »

ــ « شكرًا يا مرشد .. أى .. »

ثم أضافت وهى تسعل :

ــ « هل ستعيدنى لدكتور فورشوفود ؟ »

ــ « لا .. هو علم بالنتيجة وأدرك أن مونتولون هو القاتل ولسوف ينشرها فى كتاب وبحوث هامة .. للأسف لن تصل العدالة الأرضية لهذا الوغد مونتولون ، لأنه حبسك فى مخزن الخمور وفر على السفينة المتجهة إلى فرنسا .. سوف يصل هناك .. بينما تموتين أنت فى المخزن . ربما لن يجد أحد جثتك قبل قرون ... . .. »

ــ « جميل جدًّا .. وطبعًا عاش فى تبات ونبات واستمتع بثمرة خيانته . هكذا تمضى الحياة للأسف خارج الروايات وشاشة السينما .. »

قال باسمًا :

ــ « ليس دائمًا . يحكى التاريخ أن مونتولون طلق زوجته ، ثم راح يرتاد الحانات ويقامر ويشرب الخمر كاسفنجة .. »

ـ « لكنى لاحظت أنه لا يشرب .. »

ـ « هو يزعم هذا .. معظم ما يقوله كذب . المهم أنه سيموت مريضًا مفلسًا بعد عام ولن يفيد من ثمن الخيانة .. وفيما بعد .. بعد أكثر من مئة عام سوف يكشف فورشوفود من فعلها .. طبعًا بمساعدتك .. لكنه لن يذكر هذا ! »

ثم مد يده لها كى تتأبط ذراعه .. فنهضت مترنحة كأنها شربت كل الخمر الموجودة فى هذا المخزن اللعين .. لابد أن ساقيها صنعتا من عجين لم يدخل الفرن بعد ..

يمكننا الآن أن نغادر سانت هيلانة .. يمكننا أن ننسى هذه المغامرة ..

لقد عرفنا من قتل الإمبراطور ..

* * *

فى القصـــة القادمة تخوض عبير مغامرة ممتعة فى عوالم الحلم .. سوف نتعلم الكثير عن النوم ذلك الكائن السحرى ، وعن ميلاد الرؤى الذى نطلق عليه اسم (الحلم) .

تمت بحمد الله

نادى المحاربين الجدد

الآن نلتقى مع مزيد من كتابات القراء . وإن كنت لا أنكر أننى أتلقى أكثر من هذا .. لكننى أنتقى الأعمال القصيرة والتى تتفق مع مساحة هذا الجزء . دعك من أن النشر صار أسهل بكثير .. لهذا أبتعد عن الأعمال الطويلة نوعًا ، والتى على الأرجح ستجد طريقها للنور فى شكل كتاب :

فاطمة على سالم - الإسكندرية :

أرسلت لى عددًا من قصصها القصيرة ، ومعظم أفكارها غريب وبعضها صادم ، لدرجة أنها تذكرنى بتشاك بولانيك . المجموعة ستحمل اسم (قابل للكسر) لو اكتملت ، لذا لن أنشر سوى عينة بسيطة للتذوق . هذه المرة وعدتنى بتخفيف جرعة السوداوية نوعًا .. فلنر :

وريد

حاول إدخال سن المحقن فى عروقه دون جدوى ، أدرك أن أوردته أصابها العطب ، لكنه كاد يموت ألمًا دون أن يأخذ جرعته .

راحت يداه تهتزان كعادتهما مؤخرًا ، خاصة كلما حاول أن يقاوم ارتعاشهما ليدخل سن المحقن فى أوردته ، أغمض عينيه مقاومًا ، فتحهما مرة أخرى فكان التدميع المصاحب لأعراض الانسحاب يحول دون رؤية سن المحقن ، أضواء الشارع الجانبية انعكست على الإبرة بقوة ، وكلما ركز بصره أكثر كلما تراقص سن المحقن أكثر .

شعر بعظامه تنخر من شدة الألم ، أحس بجلده يتآكل ودبيب كالنمل يسرى فى مسامه ، وأن رأسه لا وجود لها .

لم يعبأ بمسح أنفه الذى يسيل على ذراعيه التى غطتها آثار الحقن ، أعياه البحث عن عروق حية فى ذراعيه ، كثرة استخدام المحقن على مر السنين أصابها الضمور .

نزع سرواله يبحث فى ساقيه عن عروق ، يعلم جيدًا أن ذلك أكثر خطورة فربما يصيبه الشلل أو الموت ، ربط حزام السروال على فخذه لتنفر عروقه ، عبثًا راح يوخز جلده كيفما اتفق ، حتى غرس السن الحاد فى وريده لينساب السائل الأبيض حاملاً إحساس دافئاً لذيذ بالأمان والسعادة .

لم يعد ملقى فى زقاق مظلم يفترش الأرض المبلله بمياه المطر ، لم يعبأ حتى بنزع المحقن الفارغ من ساقه ، ارتسمت على شفتيه المتشققتين ابتسامة نشوة وتطلع للأفق ، فقط ... أصبح هناك .

راح نور الشمس يلسع عينيه ، فتحهما على مضض ، شعر بحرارتها تحـــرق ساقيه العـــارية ، تمطى بجسده المبعثر ، لا يندهش كثيرًا لافتراشه الزقاق ، لم يعد يذكر آخر مرة افترش فيها فراش .

فى نور الصباح نظر حوله ليكتشف كم أخفى الظلام من قذارة ، وحاويات نفايات ممتلئة حتى حافتها ، سمع خطوات تعبر الزقاق

الضيق ، كانت امرأة تحمل كيس نفايات ، أطلقت صرخة وهى تراه دون سروال ، بالرغم من أنه ما زال يرتدى سرواله الداخلى إلا أنها قذفته بكيس النفايات الذى تمزق على وجهه وأسرعت هاربة .

لم يكن قـد تحرك قيد أنملة ، لم يكن حتى يملك الرغبة أو القوة ليؤذيها ، تخشب جسده ، تحركت عيناه تنظران للقمامة التى أصبح جزءًا منها ، زجاج متكسر ، مناديل متسخة ، بقايا بيض فاسد ، وأحشاء دجاجة ، كل هذا أصبح يغطيه بالكامل ، شعر بالقىء من معدته الفارغة يرتفع لفمه ، فى اللحظة التالية كان يتناول قطعة زجاج ليمزق أوردته .

فاطمة على محمد سالم ..

فعلاً قصة وديعة ورقيقة يا فاطمة !.. بالمقارنة بالقصص السابقة لك هى قصة أطفال !.. لا يوجد سوى مخدرات وقيئ وانتحار بقطعة زجاج .. لكن لا تنكر أنها ساحرة وسيطرتها على اللغة جيدة وعرض قضيتها واضح ومتماسك ..

ماذا عن القصة التالية الأكثر وداعة ؟

مجـرد شـعـر

شـــاهدت الفيـــلم المعروض على التليفزيون ، بالرغــم مـــن تكرار مـــرات عرضـــه إلا أنها كانت تشعر بالذنب إذا تجاهلت فيلمًا لنجمهـــا المفضـــل دون مشاهدته للنهـــاية ، كأنها خانت حبها له .

ثم تخللت بأناملها خصلات شعرها الشىء الوحيد الثائر فيها ، أحبت أن تتخلله بإصابعها برتابة تساعدها على التأمل .



ـ سوف أقصه .

رنت الكلمة فى ذهنها كفكرة مجنونة ، دون تردد تقدمت للمرآة التى لا تستعملها إلا نادرًا ، تأملت خصلاته الجعدة بنظرة تقييم بارد ، ليس طويلاً كما تتمنى منذ كانت فى السادسة وهى تأمل أن يكون شعرها طويلاً كابنة الجيران الفخـورة بجديلتها الطويلة ، يذكرها الشعر الطويل دائمًا بالأميرات التى يزينهن التاج فى قصص الأطفال ذات الرسوم الملونة .

ـ لن أقصره بل سأقصه كله مثل الفتيان .

خطر ببالها كم من الوقت قـد يستغرقه ليستعيد طوله من جديد ستة أشهر ربما عام .

ـ لا يهم

قالتها بلامبالاة أدهشتها نفسها ، امتدت أصابعها مرة أخرى لتتحسس خصلاتها الناعمة ذات لون يجمع ما بين البنى والأشقر ، تابعت يداها المسيرة لتتلمس قسمات وجهها ثم مدت كلتا يديها لترفعه وتتأمل وجهها مرة أخرى كأنها قصته . لن يطرأ تغيير

كبير فهى دائمًا ما تجمع جناحى شعرها عن وجهها فى شريط مطاطى .

التمعت عيناها وذهبت لتحضر المقص تسللت لغرفة أمها المريضة دائمًا حتى لا توقظها وعبثت يدها فى الأدراج بحثًا عنه ولم تجده ، بحماس أكبر سارت للمطبخ وراحت تبحث فى الأدراج تفتحها وتغلقها فى عنف حتى وجدته .

مقص المطبخ الكريه الرائحة الصدئ قليلاً وامتدت يدها فى بطء وأمسكته بكلتا يديها وذهبت للمرآة ، تعلقت عيناها بشعرها ثم امتدت يدها لتمسك خصلة ثم تركتها ، غاصت أصابعها فى شعرها لتبحث عن خصلات مخفية أمسكتها بين أصابعها ومدت المقص ببطء وقصتها . رن صوت القص فى أرجاء الحجرة كصوت منبعث من مكبر صوت . راقبت الخصلة التى استلقت بين يديها وفاجأها عدم إحساسها بالخسارة .

* * *



رفعت عينيها مرة أخرى وامتدت يدها لتمسك خصلة أكبر راحت تملسها أكثر تحاول أن تعطى لنفسها الفرصة لتتراجع ثم امتدت يدها اليمنى بالمقص الصدئ لتقصها .

نظرت للخصلة التى لم تصبح قطعة منها .

رفعـت عينيهـا لوجهها تفـكر فى شكلها عنـدما تصبح صلعاء !!!!!! ربما ليست صلعاء تمامًا أن يكون طوله طول أصغر أصابعها .

ترى ماذا سيكون رد فعل أبيها على ذلك ؟ داعبت ابتسامة فمها وهى تتخيل ثورة غضبه وأيضًا .. إحساسه بالخجل منها .

ثم ماذا ..... متى أحس بالفخر أصلاً ؟ قالتها وعيناها تمتلئ بالدمـوع وهى تجد نفسها بالرغم من كل ما صنعت من أجله بالرغم من أنها لطالما حاولت ألا تشعل فتيل غضبه مهما ألقى من ملاحظـات عن ملبسها وعملها حتى أسلوب تخاطبها مع صديقاتها .

كانت تسعى دائمًا لإرضائه لتجعله فخورًا بها لطالما تتبعت ملاحظاته ونفذتها .

حتى عندما تخطت سن المراهقة بخمسة عشر عامًا .

إلا أنها ما زالت تتألم إذا أبدى امتعاضه من شكلها وملبسها حتى أنه علق على تلك التجعيدة التى تختبىء بجوار فمها ولا تظهر إلا عند الابتسام .

لطالما حاولت ألا تبتسم خاصة لرجل حتى لا يسىء الظن بها وحتى لا تتحـــول ابتسامة بريئـــة لابتسامة داعيـــة . هكذا كانت تفكر أنه يجب على الفتاة المحترمة ألا تعبث مع الفتيان ربما لن تكون المحبوبة لديهـــم ولكـــن ســـوف يحترمها وإذا لم تظفر بمحبته ســـوف تظفـــر باحترامه والاحتـــرام أهم ؛ لأن احتـــرام الفتـــاة هو سمعتها وســـمعتها هى ســـمعة أبيهـــا ... .. حتى لو تشاجرت معه وأعلنت بالكلمات انها لن ترتدى إلا ما تفضله أصلاً وأنها لن تبدل زينتها وأن ملاحظاته لا تعنيها إلا أنها لطالما نفذتها بالفعل .

ولذلك لطالما ارتدت القمصان طويلة الأكمام الفضفاضة وحتى الألوان تحاول ألا تكون ملفتة تحرص دائمًا على أن تكون نظيفة ومهندمة .

وإذا ما قابلتها نظـرات أبيها قبـل خروجها فى طريق للعمل ولم يعلق بأى كلمة كانت تشعر بالانتصار وأنها أصبحت شخصًا يفخر به .

ولكنه ليس كذلك .

شعر المـراة هو تـاج جمالها وأنوثتها ولكنها لم تستخدم أنوثتها قط بل حتى لم تحدد فهمًا معينًا لمعنى الكلمة .

تساءلت أتراها خطوة كبيرة قص شعرى ؟

أتراها خطورة كبيرة قص شعرى ؟

التمعت عيناها بالتحدى ... وأكملت القص صوت المقص الخشن على الخصلات الناعمة أصبح كموسيقى خلفية وراقبت الخصلات وهى تسقط على الأرض الواحـدة تلو الأخرى وراحت تشعر بالتحرر .

مع كل خصلة تسـقط ينعقـد حاجباها ويتضاعف إحساسها بالتحدى والتحرر .

لن أدع رأيه يوثر فى ... راحت تردد الكلمة مع صوت جز المقص لشعرها .

لن أدع رأيه يوثر فى .

التمعت عيناها بالدموع التى لن تدعها تغادر حدقتها .

وأخيرًا .. تأملت رأسها العديم الشعر وشعرت ... بالقوة الحرة .

ثم سارت إلى كرسيها المفضل لتتابع الفيلم المذاع لنجمها المفضل رغم تكرار عرضه ....

وتنتظر عودة أبيها برأسها الصلعاء وزهرة بيضاء خلف أذنها .

قصة جميلة وقوية وتناول جديد .. لكنها طالت منك يا فاطمة . لو قصرتها أكثر لصارت أكثر إحكامًا . ثم إن استعمالك لعلامات الترقيم خطأ غالبًا .. أرهقتنى جدًا فى التصحيح وأنا أعرف أن مصححنا اللغوى سيقضى وقتًا صعبًا معها .

تعالوا إلى قصة ثالثة لأننى فعلاً شغوف بأعمالها . قلت لكم إنها أعمال غير تقليدية .

قــدح قهــوة

لم تتخيل أن يكون الخروج من أجل قدح من القهوة يتطلب كل هذا الاستعداد النفسى والشجاعة ، حتى إنها أبدلت ثيابها مرتين وأصلحت وشاح رأسها والآخر الذى تضعه حول كتفيها عدة مرات . تعلم أنها ستجالس نفسها فقط ، ربما تكون المشكلة فى الخروج وحيدة لأول مرة .. فذلك مكانها الأول الذى ستقصده بعد خروجها من المستشفى .

هبطت الدرج ببطء وحذر أصبح من عاداتها مؤخرًا ، تريثت للحظة قبل أن تخطو خارج البناية ، لوهلة صفعتها الشمس اللافحة بالخارج ... وقفت فى مواجهتها لدقيقة كاملة ، يرحب جسدها المتعافى بإحساس دفء لم يكن يعبر نافذتها بالمستشفى .. كأنها شمس جديدة لم تتذوقها من قبل . عقدت يديها حول صدرها بحذر (مكتسب) وتوجهت مطأطئة الرأس نحو المقهى .

تطلعت لواجهته الزجاجية تتأمل الرواد الذين التفوا بسلام وهدوء حول الموائد المتناثرة مجتمعين وفرادى ... ارتسمت على وجوههم ابتسامة راضية وقد انهمك أغلبهم فى

الحديث .

لمست الوشاح الملتف حول رأسها دون مبرر ، شدت سترتها السميكة والتقطت أنفاسها .

تدخل المقهى ... هل يتطلع إليها الناس وهى سائرة ؟ هل يفصح مظهرها وطريقة خطوها عن أنها تضع ثديًا صناعيًا ؟ لم تجسر على رفع رأسها لتتأكد ، فقط توجهت منكسة الرأس بخطوات سريعة بدت لها كالأبدية نحو طاولة منزوية ، جلست مولية ظهرها للطاولات الأخرى ، ارتجفت وهى تشد جانب سترتها الأيسر دون داع ، نسيت نعمة مخالطة الناس الطبيعيين حتى دون محادثاتهم ... إلا أنها شعرت بنظراتهم الوهمية مرة أخرى ... فكرت فى الالتفاف لتكسر ظنها إلا أن حقيقة شكوكها ستدمرها .

ربما فكرة تناولها لقدح من القهوة وحدها فكرة سيئة ، هناك رف كامل من علب القهوة بالمنزل لعلها سارعت للخروج دون أن تتماثل نهائيًا للشفاء ، ربما لم يفت الوقت للرحيل ... أمسكت بيد مقعدها تستند عليه استعدادًا للنهوض ... تسلل صوت النادل بأدب

بارد يسألها عن طلبها ؟ كان أول رجل يخاطبها بخلاف طبيبها وعائلتها ، تسارعت أنفاسها ، أمسكت بجانب سترتها تشدها بقوة ، ارتعشت بالرغم من حرارة المكان ، ارتفعت ضربات قلبها حتى كادت تصم أذنيها ، تطلعت للقائمة بسرعه حاولت أن تتذكر ما تريد شرابه ، ذكرت أول اسم مدون على قائمة المشروبات غمغمت بتلعثم اضطرها لأن تردد اسم المشروب مرتين .

زفرت بقوة حين انصرافه كما لو كان يمتص روحها ، أصلحت وشاح رأسها ، ضمت جانبى معطفها وأصلحت من وشاحها للمرة العاشرة فى نفس الدقيقة ... عقدت ذراعيها ببطء حتى لا تتألم ثم فكتها مرة أخرى .

هل من الطبيعى أن يجلس المرء معقود الذراعين أم وضعهما على الطاولة أكثر طبيعية ؟

نظرت ليدها الخالية من (دبلتها) ... إلا أن إصبعها الثالث ما زال يحتفظ بأثرها ... وضع أمامها كأس العصير ، تناولته بسرعة دون أن تميز طعمه .

التقطت حقيبتها لتبتلع أقراصها ثم خشيت أن يبدو تصرفها غريبًا ..

وضعت حفنة نقود على الطاولة .. احتضنت حقيبتها بقوة مسارعة للخروج من المقهى دون أن تلتفت خلفها .

هذا الأسلوب يدعى (وجهة النظر الدرامية) وهو خاص بهيمنجواى ، حيث يمكنك استنتاج أفكار الشخصية ، وسياق المشكلة من مشاهدة التصرفات بلا ثرثرة كثيرة (نظرت ليدها الخالية من دبلة) . أفكارها غير تقليدية وعينها حساسة فعلاً . طبعًا هناك قصص عجيبة مثل مشاعر ترانفستايت (أى رجل مولع بارتداء ثياب النساء) ... قلت لكم أن لدينا مشروع تشاك بولانيك مصرى وفتاة كذلك ! . كما أنه من الواضح أن مفردات عالم الأنوثة ترهقها وتحيرها ..

قابلت فاطمة لأول مرة مع رفعت إسماعيل فى كتيب أسطورة الظلال ، وقد رد عليها رفعت هناك ، وعرفنا أنها سكندرية تدرس التجارة حاليًا وفنانة تشكيلية (نحاتة) لها عدة معارض ، وعلى ما أذكر هى القارئ الوحيد الذى قدم لى قطعة حجر ما زالت للذكرى عندما قابلتها فى مكتبة ألف السكندرية .

فاطمة موهبة لا شك فيها ، ودعنى أؤكد لك أن أعمالها النحتية لا تقل روعة ..

على ذكر ندوات مكتبة ألف .. هناك حفل توقيع تلقيت فيه هدية من الشيكولاته ، لكن الصديقة التى أهدتها لى دست فيها حرف A من ذهب . لا أعرف أين هى ولا أسمها لأعيد لها هذه الهدية الثمينة .. سأعيد لها الحرف الذهبى لأننى لا أستحقه طبعًا ، لكن سأحتفظ بالشيكولاته لأسباب عاطفية تتعلق بالفجعـ ... أ بالمعدة ..

صديقة أخرى هى سمر أحمد ترسل لى فصلاً من روايتها الوليدة ، وتسألنى أن كان هذا الفصل يستحق أن يتم استكماله لرواية :

الساعة العاشرة صباحًا ... معهد (...) التعليمى ... معامل الكلينيكال باثولوجى .. درجة الحرارة 90 فهرنهايت .

الجو حار وخانق معبق برائحة العرق ، كميات مهولة من البول والبراز والبصاق تنتظر الفحص وكتابة التقارير ، لا أستطيع

التركيز ، عين على الساعة وعين على الباب ولا أجد عين ثالثة للعينات ، أسمع صوت دقات كعبها العالى يقبل الملاط ويتركه طامعًا فى المزيد ، أراها أخيرًا وقد برزت من الباب وتخطو مقتربة .

من هذا الذى يرتدى ملابسها !!! إنها هى نفسها ولكن منذ متى كان لها هذا الأنف الضخم والعيون الحمراء البارزة والبشرة الصفراء ، هنا استنتجت بذكائى المعهود بأن تلك هى آثار البكاء وقلة النوم وعدم وجود بال رائق لمساحيق التجميل !!!

اقتربت منى ونظرت لى بعيون متورمة محمرة يحيطها السواد ، ولمحت خيطًا من الدموع يسيل من عينيها وأنفها ، همست بصوت مبحوح (خلاص يا عماد مش موافقين ، ماما رافضاك تمامًا) شعرت للحظات بامتنان لتلك الأم العظيمة التى منعتنى من اقتراف تلك الجريمة البشعة بحق البشرية ، ثم أدركت الأمر وتذكرت أننى حقًّا أحبها ومنذ لحظات مضت كنت لا أطيق الحياة بدونها ، (لية) (زى متوقعت طبعًا رافضة أنى

أسيب هنا وأروح أعيش معاك فى بلدك وشارطة أنك تجيبلى شقة هنا) (أجيبلك شقة هنا إزاى منا لو كنت أعرف كنت جبت لنفسى ورحمت نفسى من مشوار كل يوم) (ماما بتقولى أنتى طــول عمرك عايشة فى المعــادى إزاى عايزانى أوافق تسيبى هنا وتروحى تعيشى فى قرية من قرى المنصورة ، يا ريتها كانت المنصــورة نفســها كانت وافقــت) (أنتى عارفة الشقة فى المنصورة بكــام النهــاردة !!!) (……) (يعنى أنتى عايزانى أسيب أمى وإخواتى البنــات وآجى أعيش معاكى هنا ، أنا حتى لو معايا فلوس مقدرش أسيبهم وآجى أعيش هنا هما مالهمش غيرى) (مانتا كــل يــوم بتيجى هنــا هى هتفــرق أية يعنى) (لا تفرق كتير كفاية إنى أرجعلهم كل يوم ومش ببات هنا غير يوم النباطشية) .

(بص يا عماد مفيش قدامنا غير الحل ده لو عايزنى يبقى تجيبلى شقة هنا) (أجيب أزاى ومنين لو جبت هتبقى إيجار ومش هنتجوز قبل ماجوز إخواتى البنات وهجيب أمى تعيش معايا) (يبقى أنت كدة جبت أخرها يا عماد) ابتعدت وكعب

حذائها يصفع الأرض ويدق دقات صاخبة ، لعنة الله على من اخترع الكعب العالى تلك الدقات تكاد تصيبنى بالجنون ، هل ترتدى فى قدميها حذاء أم هاون !!! كما أن صوت دقاته عجيب فهو يشبه ...

ترررررررررررررررررررن جرس المنبه !!!!!!

الساعة الخامسة صباحًا ... قريتى بالمنصورة

الحلم العاشر فى تلك الليلة السوداء ، منذ أن أنغلق هاتف لمياء الأمس بعد مقابلتى مع والدتها وأنا أشعر أن الأمر لا يبشر بالخير ، يا ترى ماذا فعلو بها هل قتلوها ليغسلو العار على طريقة أهل الصعيد ، لكن أى عار هذا ؟ إن لمياء من أسرة منفتحة وعدد أصدقائها الشباب يقارب عدد أعضاء مجلسى الشعب والشورى .

لمياء القطة الأنيقة المرتعبة من كل شىء ، وجدت نفسها فى هذا التخصص الكريه مثلى هربًا من فقر التقدير ، فجأة وجدت نفسى وقد تحولت من البية الدكتور لبتاع

المعمل ، كذلك وجدت لمياء نفسها وسط مستنقع من البول والبراز والدم والبصاق ومطالبة بالتشمير عن ساعديها والخوض فيه ، كيف تخوض قطة شيرازية شقراء ترتدى الشامواه فى هذه القاذورات ؟!!!! بالطبع كان لا بد من الطبيب الأسمر الغلبان القادم من الأرياف أن يهب لإنقاذ الأميرة من المستنقع الشرير والخوض فيه حتى غطت الطحالب عويناته ، لكنه خرج منه وقد فاز بقلبها وبابتسامة عذبة وكلمة ميرسى كافلة لتطهيره من خطاياه .

لعنة الله على تلك الكلية الظالم أهلها كيف ترتادها زهرات يانعات بسكوتات مثل لمياء لتخرج منها لتمارس تلك التخصصات العفنة وتتحول مع الوقت إلى أبله عطيات التى تتعارك مع المرضى وتتبادل السباب البذىء وتمسك العينات بيدها المجردة ولو كان بإمكانها لتذوقتها توفيرًا للوقت !!!

كيف أنه لايزال هناك البعض ممن يرتاد تلك الكلية مبتسمًا أملاً بغدًا رائع ومستقبل مشرق يغره مجموع عظيم بالثانوية العامة يكفيه لشراء ثلاث كليات وبعض المعاهد .

لماذا ارتدت تلـك الكليـة ؟!! حقًا لا أعلم فلقـد تركت كل ذكرياتى وأحلامى على بابها كمـا يترك مرتـادو جحيم دانتى خلفهم كل أمل ، كل ما اذكـره هـو 99% وأب فخور يكاد أن يطير فرحًا ويقول لى فى حبـور (هايل يا عمـاد كـدة تقدر تدخل طب وأنت حاطط رجل على رجل) (طب ليـة ياحـاج) (أمال يعنى عاوز تدخـل كليـة أية فى حـد يكـون جايب مجموعك ويدخل أى كليـة تانية غيـر طب) وكأننى لو دخلت كلية تطلب 90% فـإن باقى المجموع سـوف يحمض وهـذا حرام طبعًا فلابد مـن استغلال المجموع حتى آخر قطرة كمـا تقوم أمى باستغلال بواقى الطعام فى إطعام الحيوانات بدلاً من رميها لأنه طبعًا حراااام



لماذا كنت ضعيف الشخصية ولم أقم بالاعتراض ، وقتها حقًا لم أكن أعلم ما أريد كنت أدرس بالثانوية العامة كمن يجتر الطعام خوفًا من المجاعة القادمة ، كنت أحشر المعلومات حشرًا حتى كدت أطفح بها فأنا فى أمس الحاجة لكل ربع درجة كما أخبرنى والدى ، لم يكن عندى لحظة واحدة للتوقف والتفكير لماذا كل هذا ، وماذا سيحدث بعد الثانوية العامة ، هذه من الأسئلة الملحدة المحرمة على كل طالب ثانوية فلابد من عدم تضييع الوقت بتلك التفاهات ، لو عاد بى الزمن لالتحقت بكلية الشرطة ولتذهب بواقى مجموعى إلى الجحيم حتى لو أطعمتها أمى للفئران .

أفقت من شريط الذكريات الأليم على ألم ممض فقد جرحت ذقنى بالموسى أثناء الحلاقة ، ورأيت قطرات الدم تتساقط على الحوض الأبيض الذى حال لونه من القدم ، هرعت إلى زجاجة عطر ردىء ملقاة بركن الكومود وأسرعت بتطهير الجرح ، منذ أن التحقت بهذا التخصص وأنا أرى الكون من حولى ميكروبات

هائمة ، صرت موسوسًا وبشدة فيما يخص الجروح والتطهير ، ضمدت الجرح بلاصق طبى على أن أزيله قبل دخول المعهد حتى لا تظننى لمياء فتى رقيع لا يتحمل جرح موسى ،

ألقيت نفسى بداخل سروال جينز ملقى على الشماعة والتقطت تى شيرت قطنى من الغسيل وارتديته على عجل ، لا وقت الآن للقمصان المكوية التى تتكسر من الشعبطة بالمواصلات والوقوف بالقطار وتمتلئ بالعرق وتحولنى مع الوقت إلى فواحة بشرية خبيثة الرائحة .

الساعة السادسة صباحًا ... محطة القطار ..

مر القطار من أمامى وكعادته فى غير المحطات الرئيسية فهو لا يتوقف بالمعنى المفهوم إنما يبطئ من سرعته قليلاً ، والمطلوب منك أن تقوم بكل لياقة وخفة باستغلال تلك اللحظات الثمينة والقفز إلى القطار ، دون أن تسقط تلك الحاجة القافزة بجوارك أو تهرس نفسك تحت العجلات .

وجدت ولله الحمد ركنا أستطيع ثنى ركبتى به ، فاتخذت وضعًا يشبه الجلوس وتظاهرت بالراحة ، وحاولت بكل الطرق الممكنة والبهلوانية تفادى أقفاص الدجاج المتطايرة من كل صوب على أكتاف الراكبين ، الجو حار وخانق ومعبأ برائحة عرق وأقدام خبيثة ، اللعنة على مخترع الجوارب لا أجد لهذا الاختراع نفعًا سوى إنتاج الغازات السامة .

حاولت الاسترخاء قليلاً وأخذ قسط من النوم أسد به بعض أقساطى المتراكمة منذ سنوات ، لماذا لا يأتينا هذا اللعين حين نطلبه ، يشبه الفتاة اللعوب كلما توددت لها نفرت منك فإن تركتها جاءتك راكضة ، أخرجت هاتفى المحمول لأجد به رسالة أن الرقم الفلانى متاح الآن يمكنك الاتصال به ، اتصلت سريعًا بلمياء علها ترد على وتشرح لى سبب قتل أهلها لها !!! تلك البلهاء لا ترد وصوت الكول تون المزعج يكاد أن يصيبنى بالصمم ، أعدت الاتصال فكنسلت !!! هنا بدأ القلق الحقيقى يساورنى واضح أنها لم تقتل بعد إذن هو الاسوأ ... .

وصلت للمعهد أخيرًا بعد أن تخطت الساعة حاجز التاسعة بقليل ، أشعر وكأننى لص أحذية تم الإمساك به فى مسجد ممتلئ وقت صلاة الجمعة ، كل مفصل بجسدى يئن ، أكاد أجزم أننى قد جربت الشعبطة والقفز والتدلى من كل وسائل المواصلات بالقاهرة فقط فى خلال بضعة أشهر من استلامى لتلك النيابة اللعينة .

وقفت على باب المعمل الهث ككلب ركض أميالاً عبر الصحراء الغربية ، واستطعت اللحاق بدفتر الحضور بأعجوبة قبل أن يقوم محمد مسعد بممارسة هوايته المحببة فى التشطيب ، ارتديت معطفى الأبيض الذى أهملت منذ سنوات كيه وتنظيفه وتحول مع الوقت لملهى ليلى للميكروبات قليلة الحياء ، أتذكر أيامًا بعيدة باسمة فى بداية عهدى بالكلية المحروسة ، كنت أحرص على غسيل وكى المعطف يوميًا بنفسى ، حتى أننى نقشت حروف اسمى الأولى عليه ، كنت أعتقد أننى سأتخرج من الكلية أبو قراط العصر والأوان وأنه سيتم حفظ معطفى مع

رفاتى فى متحف العلوم حيث يتأملها طلاب العلم مبهورين غير مصدقين أن العلامة النابغة عمـــاد بن محمد الحفنى كان جلده يلامس هذا الشىء منذ قرون .

ههححححححححححح تنهدت وأغلقت ماسورة الذكريات وتذكرت المصيبة التى غفلت عنها ، لمياء ... أنتى أيتها الخرقاء لماذا لا تجيبى هاتفك ، رأسى يكاد ينفجر من الكول تون المزعجة التى تصلح منبهًا أكثر من منبهى المخنث الرقيع ، أكاد أجن قلقًا ، أقسم أيتها البلهاء أن اقتلع لسانك إن لم يكن لك مبررًا مقنعًا لعدم الرد .

ظهر لى مصيلحى من مكان ما بفم ملئ بالفول وأنفاس معبقة بالبصل الأخضر قال لى وهو يلعن سلسفيلى فى سره نظرًا لمقاطعتى وجبته الشهية (تحب أجيبلك العينات يادكتور عماد ؟)

مصيلحى هو أحد أهم فنى المعمل ، له خبرة بالمجال أكثر من طبيب استشارى حاصل على زمالة جامعة بروروم الدولية ، فهو

هنا منذ أكثر من عشرين عامًا ويمكن أن نقول بلا مبالغة إنه يستطيع معرفة ما بالعينة بالعين المجردة دون الحاجة لفحصها ، لكن بطبيعة الحال فإن عمله يقتضى أن يقوم بتحضير العينة وأقوم أنا بالفحص وكتابة التقرير .

أشرت له بأن نعم على الرغم من عجزى فى تلك اللحظة عن التمييز بين البراز والبصاق ، هنا سمعت صوت محمد منير يتردد بالرواق من بعيد ، أدركت انها قادمة وهذا صوت هاتفها الذى بح صوته وأبت أن تجيبه ، سمعت طرقات الكعب العالى تقبل الملاط المحظوظ وتخيلت الشاموآه وهو يتمايل فوق كعبين بارتفاع 12 سنتيمتر .

كان الواقع أقل بشاعة من الحلم فقد كانت لاتزال جميلة إذا استثنينا عيون ضفدع رضيع وأنف ينافس أفخر ثمرة بطاطس ، من الجلى أن ليلتها لم تكن سعيدة للغاية وإنها بكت حتى كاد أن يصيبها الجفاف ، اقتربت منى ولمحت خيطًا من الدموع يسيل

من رموش بلون الذهب ، لعنة الله على الماسكرا السوداء لماذا كانت تلك الحمقاء تصبغ هذا الجمال ، انفرجت شفتاها وبدأت بالحديث ، كلماتها لم تختلف كثيرًا عن الأحلام العشر السوداوية ، فقط تم استبدال جملة (ماما بتقول إنتى طول عمرك عايشة هنا) (أنا طول عمرى عايشة هنا مقدرش أسيب المعادى وأعيش معاك فى قرية مقدرش أعيش فى بيت عيلة مع أمك وأخواتك مقدرش أسافر معاك بالقطر وأركب الأتوبيس ماما معاها حق لاتجيبلى شقة هنا لا كل واحد يروح لحاله)

جرس المنبه لماذا لا يرن هذا اللعين حين نطلبه ، هل سيقرر مصيلحى الآن المشى على الحائط أو الطيران كفيلم ماتريكس ، أم هل ستخرج من العينات كائنات هلامية تشبه العناكب وتنقض علينا ؟! ، أتمنى لو أرى شيئًا يثبت لى أننى لا أزال بفراشى الدافئ بقريتى أغط فى نوم عميق ..

* * *

ما رأيكم ؟ الأسلوب طريف وفيه طلاوة .. لدى خطة القصة كاملة وهى ذات طابع بوليسى اجتماعى .. سوف تحدث كوارث لا أجرؤ على ذكرها حتى لا أفسد الرواية . لكنى متحفظ على أن تكون المحاولة الأولى لأى صديق هى رواية . إن الرواية فن معقد مراوغ يحتاج لأن يسيطر المرء على عدة مفاتيح . أهم مشاكل الرواية هى أنه لا توجد قواعد واضحة .. هذه حرية مزعجة . حرية تشعرك أنك عاجز عن عمل شىء . ما زلت أقترح أن يبدأ كل موهوب بالقصة القصيرة . هذا رأيى .. فما رأى القارئ ؟

شكرًا ولكم وإلى لقاء .



مشروع القرن الثقافى
روايات مصرية للجيب
فى كل رواية متعة دائمة





د. أحمد خالد توفيق

من قتل الإمبراطور؟

هذه قصة بوليسية من طراز (من فعلها؟) الذى عرفناه مرارًا، لكنها تختلف فى كونها حقيقية تمامًا، وتمس مجرى التاريخ ذاته.

تعالوا مع عبير ود. (فورشوفود) شخصيًا نحاول إماطة اللثام عن سر تاريخى.

سوف نستعمل وسائل الطب الشرعى المتقدمة للبحث فى لغز تاريخى.

من فعلها ؟..

رجال الإمبراطور أم البوربون أم إنجلترا المخادعة الشريرة؟

العدد القادم

أحلام

الثمن فى مصر 500
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



